ماجى صلاح

ألف مظلمة ومظلمة

والهروب للواحة المرصودة

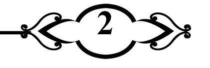
قصص

صدرت الطبعة الأولى فى مايو 2019

بطاقة الكتاب

عنوان المؤلف	ألف مظلمة ومظلمة والهروب للواحة المرصودة
المؤلف	ماجى صلاح
التصنيف	قصص
رقم الإيداع القانونى	5248 - 2019
عدد الصفحات	162 صفحة
رقم الإصدار الداخلى	356 الطبعة الأولى مايو 2019
المقاس	20X14
تصميم الغلاف	مؤسسة النيل والفرات





إهـــــــداء

إلى أمى

أفضل قارئة لى

ماجى

على سبيل التقديم

كثيرا ماكنت أقرأ الأدب القديم من مقامات وأمهات الكتب وأهازيج وكتب جورجى زيدان وألف ليلة وليلة وطاهر ابو فاشا والكثير والكثير من الكتب وكنت أتساءل كيف ترك كتابنا هذا الايقاع المحبب للنفس فهو على روعته يجعل اللغة العربية برغم صعوبتها ، محبوبه عند الشباب والصغار والكبار وكثيرا ماكنت أكتب قصص نثرية ثم أمزق الأوراق أو أنساها مع الوقت ..

حتى قررت أن أكتب بضع صفحات مجرد قصة صغيرة بهذا الأسلوب مع استخدام كلمات بسيطة وغير معقدة ، وأن أجعل الواقع أساسا ، وأن أخلط مابين الحداثة واستخدام الرمزية وتلخيص الفكرة وتكثيف المضمون حتى تواكب العصر لا أنكر ترددي فى البداية

وبعد تفكير قررت أن أطلق العنان لذاتي وأن استمتع بما أكتب حتي يستمتع به القارىء معي..

تختلف المدارس وكل يعتنق مايناسبه ومنهم المدرسة البسيطة ، لذلك اتخذته منهجا لى ..

الوضوح والبساطة لاتفسدان جمال النص ، بل تزيده جمالا طالما كتب برشاقة

وبما أن أساس الحياة الإنسان ، وخلقه الله ليعمر الأرض وهو أساس مافى الكون من خير أو شر

لذلك حاولات أن أغوص فى النفس البشرية ببساطة وتلقائية وبلا تعقيدات ، هي مبدأ اتخذته لى نهجا ودربا أنتهجه .. مافئدت أن أختار كلمات ملتوية عميقة وهناك بديل فى اللغة العربية ، بسيط يفهمه الجميع فلغتنا من أغني اللغات في العالم فأنا أكتب للقارىء ، حتى يستمتع ، فما اسهل الصعوبة وما أصعب البساطة ..

وانطلقت أكتب ، وراحت الفكرة تتشعب ، وتتشعب ، حتى وصلت لعشرات بل وصلت إلى أكثر من أربعمائة صفحة ، ورحت أنتقل بها من الواقع الموجود فى كل زمان بكل مشاكله مع اختلاف المكان والزمان ..

إلى الحلم بمدينه للمظلومين المقهورين إلى خيال مخلوط بواقع يكذبه البعض ، ويصدقه البعض ورحت أغوص فى عالم ذى أبعاد لا نراها ، ومخلوقات لا نشعر

بوجودها ، برغم أنها ترانا ، ولكنها ليست من الجن او الشياطين ..

انتقلت من الأرض الثانية إلى الثالثة ، دواليك حتى وصلت للسابعة ، وقابلت مخلوقاتها ، وعشت حياتهم ثم عدت إلى لأرض الأولى مقتنعة أن البشر هم من يدمرون أنفسهم ، ولكن هناك طاقة نور طالما هناك أتقياء أحرار

وهنا محاولات كى اتحرر من فكرة الجن والعفاريت وان اجعلها علي الهامش فبرغم استمتاعي بأدب طاهر أبو فاشا إلا أنني أفضل أن يطغي الواقع المخلوط ببعض الخيال القائم علي اسس في التاريخ وقد نبع هذا من قراءتى عن (عبدالله الحزرد مؤلف كتاب العزيف)(وشمس الدين البوني (مؤلف كتاب شمس المعارف) وقصة الصحابى الذى زار الدجال (الصحابى تميم الدارى) وغيره وغيره ..

لذلك أرجو أن تستمتعوا بما كتبت ، وأتمنى أن ينال رضاكم ، وتلك خلاصة قراءة السنين ، مع محاولاتي لجعلها تناسب العصر ، بلا مبلاغات

ماجي صلاح

الجزء الأول

الجزء الأول

أَمْ الغِلْمَان

وَعَبَثِيَّةُ البَشَر وَحَكَّمَ الزَّمَانَ

جَلَسَ النَّاسُ ذَات مَسَاء حَوْلَ النَّارِ سامرون.

وَمِنْ سُوءِ الحَالِ يَشْتَكُونَ،

وَمِنْ شَظَفِ العَيْشِ يَتَذَمَّرُونَ.

قَالَ أَحَدهُمْ أَيْنَ أَيَّامَ الزَّمَنِ الجَمِيلِ؟.

حِينَ كَانَ الخَيْرُ كَثِيرا وَالخَلِيلُ سَنَدُ لِلخَلِيلِ.

اِلْتَفَتَ لِهُمْ، الشَّيْخُ زَهْرَان قَائِلًا:

وَمَا أَدرَّاكُمْ مَا كَانَ مِنْ الزَّمَانِ.

فالماضى فِي جَعْبَتِهِ الكَثِيرُ..

لَا يعَلِّمُهُ إِلَّا العَلِيمُ الرَّحْمَنُ

فَلِي مِنْ العُمْرِ نيف بَعْدَ المِائَةِ وَقَدْ شَهِدَتْ الكَثِيرُ مِنْ الأَحْزَانِ. قَالُوا: قُصَّ عَلَيْنَا يَا شَيْخِنَا الجَلِيل عَلَ كَلِمَاتُك تَشُفِ القَلْبُ العَلِيلُ.

قَالَ سَأَقُصُّ عَلَيْكُمْ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ جَدِّي.

وَقَدْ سَمِعَهُ مِنْ جِدَّه فَأَسْمَعُوا مَا كَانَ.

وَوَحَّدُوا الوَاحِدِ الديان وَصَلُوا عَلَى خَيْرِ الأنام

قَالُوا عَلَيْهِ الصَلَاةُ وَالسَلَامُ.

هِيَ قِصَّةُ اِمْرَأَةٍ قَدْ غَدَرَ بِهَا الزَّمَانُ.

حَيْثُ كَانَتْ الأَحْوَالَ كَمَا الأَحْوَالُ.

وَالأَرْضُ كَمَا الأَرْض فَاِسْمَعُوا الأَحْزَانَ

بِرَسْمِ الأَشْجَانِ.

أَمْ الغِلْمَانُ تَعِيشُ فِي الأَحْلَامِ

أَعْرِفُكُمْ مَنْ أَنَا... أَنَا أُمُّ الغِلْمَانِ.

كَانَ ياما كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ وَالمَكَانُ.

أَعِيشُ فِي أَرْضٍ لَمْ تَكُنْ فِي الحُسْبَانِ.

فِي وَقْتِ مَجْهُولٍ مِنْ عَالَمِ النِّسْيَانِ

***

ذات صباح

خَرَّجَتْ وَقَدْ اِرْتَوَتْ الأَشْجَارَ مِنْ النَّدِيِّ.

ووقفتُ أرنو للطريقِ على المدِى.

أَبْحَثُ عَنْ سَلْوَى وَأَرْنُو إِلَى النِّسْيَانِ.

فَتَعَثَّرَتْ بمامان وَزِيرُ السُّلْطَانِ كنعان.

قُلْتُ عُذْرًا يَا سَيِّدِي

قَالَ مَا بِكَ يَا اِمْرَأَةُ ألا تنظرين ؟! .

انتفضتُ وجلة .. قُلْتُ عُذْرًا يَا سَيِّدِي الوَزِير مَامَان.

الحِمْلُ ثَقِيلٌ وَقَدْ أَصَابَنِي الهذيان.

وَأَنَا أُمٌّ لِلكَثِيرِ مِنْ الغِلْمَان.

قَالَ فَمَا شَأْنَيْ أَنَا ؟! ، كَفَى الكَلَامَ وَافسحي الطريق .
فتشبثتُ بلقائِه والأمل كما يتشبثُ بالقشةِ الغريق

قُلْتُ قَدْ جَاعُ الأبناء وَمَا فِيَّ بَيْتى زَادَ.

وَمَرِضُوا وَتَفَشّى العَوَزُ وَزَادَ.

فَلِي رَجاءً وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ لَهُ مُجِيبا.

قَالَ هَاتِ وَأَرْجُو أَلّا يَكُون أَمَرّا غَرِيبا.

أُرِيدُ أَنْ أَرَى سُلْطَانُكَ عَنْ قَرِيب.

قَالَ : أشاكية أم راجية ؟!
قلتُ مُتوسلة فَقد تَكوُن كلماتُه لي المنجية
قال : السُّلْطَانُ بِالعَدْلِ مَوْسُوم

وَيَوْمُ المَظْلَمَةِ لَكَ مَوْعِدٌ مَرْسُوم

وَكَانَ مَا كَانَ ، فذهبتُ في الميعاد ووقفتُ بين العباد

قَالُوا: أَجْلِسِ وَلَا تَتَكَلَّمِينَ

وَإِذَا نَادَوْا عَلَيْكِ فَلِتُقَفِّينَ

وَكَانَ يَوْمُ المَظَالِمِ حضَرَتْ مَعَ الحَاضِرِينَ.

وَكُلّ فِي مَكَانِهِ وَاقِفٌ وَبِمَا عَلَيْهِ عَالَمٌ

نُودْي عَلَىّ فَوَقَفْتُ فِي الحَالِ

وَدَعَوْتُ ربَى : فَرَج الأَحْوَالَ

وَقُلْتُ: لِي فِيكَ يَا سَيِّدِي مظْلِمَةٌ

وَخَبِّرَنِي بِحِكْمَتِكَ أمظلومة أَنَا أَمْ ظَالِمَةٌ

قَالَ : هَاتِي مَا عِنْدَكِ ولاتُكثرين

قلتُ : وقد نسيتُ الخوف كَانَ لِي مَنْ وَلَيْتُهُ أمرِي.

وَرَضِيتُ أَنْ يَتَحَكَّمَ بِمَالِي وَوَلِّدِي وَعُمرِي.

وَلَكِنَّهُ أَكَلَ طَعَامِي وَمَا أَطْعِمْنِي..

وَلَبْسُ كسْوَتِي وَمَا كَسَانْي.

شربَ مَائِيّ وَمَا رَوْانِي.

وَمَرِضْتُ وَأَوْلَادِي وَمَا دَاوَانِي.

وَإِذَا شكيت لم اِسْتَمَعَ ، وَإِذَا نَادَيْتُ لم سَمِعَ

غَاضِبًا ، اِنْتَفَضَ السُّلْطَانُ.

مِنْ هَذَا الَّذِي يَظُنُّ أَنَّهُ رَبّكِ الأَعْلَى ؟!

وَاللهِ عَلَى العبَادِ أَعْلَى.

قَالَتْ أَعْطِنِي الأَمَانَ حَتَّى أَقُول

قَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكِ وَأَنَا عَنْ حِمَايَتِكَ مَسْؤُلٍ

قِلْتُ : أَنْتِ أَيُّهَا السُّلْطَانَ كنعان

تَرَكْتَنَا فِي الحَيَاةِ ضَائِعُينَ.

وَظَنَنْت أَنَّنَا عَلَى الصَّبْرِ قَادِرُونَ

صَدِّقْنِي قَدْ عَمَّ النَّاس البَلَاءَ
وَشَحتُّ الأَرْزَاقَ

وَبَلَغَتْ الفَاقَةُ الأَعْنَاقَ

وَنَدَرَ المرع وَجَفَّ الضرع

وَكَثْرَةُ المُكُوسِ.

وَالفَقِيرُ بَيْنَ همْ وَهمْ يَجُوس

وَامْتُلِئَتْ خَزَائِنُكُمْ ، وَعَنْ النَّاسِ مَنَعْتُمْ.

فَلَا بِالنَّذرِ اليسيرِ عَلَيْهمْ فِضْتُمْ.

وَلا الخَبْزَ الجَاف لِهُمْ وَفَّرْتُمْ.

اِنْتَفَضَ مَامَان يُزَبِّدُ وَيرعد ، مَا هَذَا الجُنُون ؟!

قَالَ عَلَى بِالسّيف أَجزْ رَأْسَهَا المأفون

وَعِنْدَهَا نطْق كنعان

قَالَ أَصْمُت يَا مَا مَان..

أَنْتَ يَا أَمْ الغِلْمَان مَاذَا تَظُنِّي أَنَّي فَاعِلٌ بِكَ.

بصوتَ مهتزَ قلتُ أمرِّي بَيْنَ يَدَيْكَ وَقَدْ أُلْقِيت هُمُومِي بَعْدَ اللهِ عَلَيْكَ.

تَبَسُّمٌ بِوَجْهِ صبوح. قال : أنت درة بين النساء واعلموا ياقوم مِنْ اليَوْمِ وَلَّيْتهَا.

وَعَلَى مَظَالِمِ العُبَّادِ حِكْمَتُهَا.

وَرَاح النَّاسَ يُصَفِّقُونَ وَيُهَلِّلُونَ.

وَمِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبَ يُهَنِّئُونَ

وَارتفعت الأصوات ..اِنْتَفَضت أَمْ الغِلْمَان

وَاِكْتَشَفْت أَنَّهَا تَعِيشُ فِي عَالَمِ الأَحْلَامِ ، فلا نعمة بالحلم ولا بالمنام

وَأَنَّهَا مَا زَالَتْ تَعِيشُ فِي أَرْضِ كنعان

أم الغلمان في الطريق البيمارستان

أشَرَّقَت الشَّمْسُ وَجَاءَ الصُّبْحَ الجَدِيد

وَتَمَنَّتْ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهَا وَأَبْنَائِهَا يَوْمًا سَعِيد

اِرْتَدْت رِدَائِهَا وَوَضَعَتْ خمارها وَفَكَّرَتْ

هَلْ أَذْهَبُ للقصاب أَمْ لِلحَانُوتِ؟

وَبَعْدَ تَفْكِيرٍ

سَأَذْهَبُ إِلَى البيمارستان

وَاُسْتُشِير الطَّبِيب

وَأَسْأَلُ عَنْ حَالِ زَوْجِي الحَبِيبِ

خَرَجَتْ أُم الغِلْمَان وَقَدْ أُرْهِقُهَا التَّفْكِيرُ

أَتَرَكَّبُ أَمْ تَسِيرُ ، فَمَال الرُّكُوبِ كَثِير



وَالطَّرِيقُ طَوِيلٌ عسير

شَاهَدَهَا جَارَهَا ، حَسَّان

إِلَى أَيْنَ يَا أَم الغِلْمَان

إني إِلَى زَوْجِي أَسِير

وَالطَّرِيقُ طَوِيلُ ، وَجَل مَا أَخْشَاهُ التَّأْخِير

قَالَ هَلُمِّي فَقَدْ اِقْتَنَيْتُ حِمَارًا جَدِيد

قَالَتْ مَرحًى ، فَأَنْتَ اليَوْمَ إِذًا رَجُلٌ سَعِيد

فَلِتُطْلِق البَخُورَ ، سَتَكُونُ مِنْ جِيرَانِكَ مَنْظُورٍ

قَالَ مَا اِشْتَرَيْتُهُ إِلَّا لِأَمْرٍ جَلَّلَ

فَلَمْ يَعُدْ لِي مَال وَهُوَ أَصْبَحَ العَمَلَ

وَهُوَ عِنْدى أَهَمّ مِنْ الأَبْنَاءِ

وَأَسْأَلُ أَنْ يَحْفَظَهُ رُبَّ السَّمَاءِ

خَبِّرِينِي أَيْنَ الغِلْمَانُ؟

عِنْدَ عَمِّهِمْ يَبِيتُونَ

وَأَتَمَنَّى أَنْ قَرِيبًا يَعُودُونَ

وَرُحْنَا نَسِيرُ الهوينى

وَرَاح يَقُولُ بِصَوْتٍ جَهْوَرِيٍّ هَلُمُّوا يَا أَهْل الدِّيَارِ

إِلَى البيمارستان بِنِصْفِ دِينَار

وَكَانَ عَلَى العَرَبَةِ عَدَدا لَيْسَ بِكَثِيرٍ

فَاكْتَفَى وَرَاح يَسِيرُ وَيسير

قُلْتُ هُنَاكَ مَكَانٌ فِلْمَا تَوَقَّفْتُ عَنْ التَّحْمِيل

قَالَ لَنْ أَجْعَل يَوْمَا حِمَارِي عَلِيل

وَكَان فِي الطَّرِيق الكَثِيرُ مِنْ العَثَرَاتِ

فَجْأَةً تَعَثَّرَ الحِمَارُ وَتَعَالَتْ مِنَّا الصَّرَخَات

اِنْتَفَضَ حَسَّانُ ، هبط علي عجل وَفَحَصَ حِمَارَهُ

وَرَاح يُتَمْتِمُ مَتَى يُصْلِحُونَ الطُّرِيق

فَقَدْ بَدَأْتُ بِكُلٍّ هَذَا أَضْيَق

لَمس رأسه برفق لا تحْزِن يَا حِمَارِي

فَأَنْتَ خَيْرُ رَفِيقٍ

وَصْلَتُ للبيمارستان

وَقَدْ حَمِدْتُ عَلَى التَّوْصِيلَةِ الرَّحْمَنَ

وَشَكَرْتُ جَارَنَا، حَسَّان

أم الغلمان في داخل البيمارستان

أَوَصَلْتَ مُبَكِّرًا؟

رُحْتُ أَطْرُقُ عَلَى البَابِ طُرقًا شَدِيدا

قَالَ صَوْتٌ مُرْتَفِعٌ مِنْ وَمَاذَا تُرِيد؟

قُلْتُ أَسْأَلُ عَنْ زَوْجِي

وَهُوَ مَرِيضٌ مَرَض شَدِيدٌ

فَتَحَ البَابَ وَقَالَ :

مِيعَادُ الزِّيَارَةِ لَمْ يَحِنُ

قِلّتُ أُتِيَت مِنْ بَعِيدٍ وَأَنْتَ بَعْدَ اللهِ لِي مَعَي

قَالَ اُدْخُلِي سَيَأْتِي بَعْدَ قَلِيلٍ الطَّبِيبَ

نَظَرَتْ حَوَلِّي مَا هَذَا المَكَان الغَرِيب

جَاءَ الطَّبِيبُ وَكَانَ رَجُلٌ سَمَحَ الوَجْهَ لِلقَلْبِ قَرِيبٍ

اِحْمَدْكَ يَا رَبِّي أَنْتِ خَيْر مُجِيب

قَالَ مَنْ أَنْتَ وَمَاذَا تُرِيدِينَ

قُلْتُ زَوْجِي عِنْدَكُمْ وَهُوَ مَرِيض

مَا اِسْمُهُ وَمَا مَرَّضَهُ ؟! مَرَضُهُ أَنَّهُ إِنْسَانٌ

وَهُوَ خَيْر رِجَالُ الزَّمَانِ

حَبَسُوهُ وَقَالُوا مَعَ البَشَرِ لَيْسَ لَهُ مَكَانٌ

وَاِتَّهَمُوهُ بِكُلِّ نَقِيصَةٍ وَأَشَدُّهَا الجِنَان

نَعَمْ أُذَكِّرُهُ أَنَّهُ رَجُلٌ كَرِيمٌ

وَلَيْسَ بِمَجْنُونٍ أَوْ لَئِيم

قَالَ إِجَلِّسِي وَقُصِّى قِصَّتَهُ

حَتَّى أَعْرِفُ عِلَّتَهُ

قَالَتْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْ المَالِ الكَثِير

وَلَمْ يَكُنْ يَوْمًا رَجُلا فَقِيرا

كَانَ يُحْسِنُ العَطَاءُ

وَيُعْطِي بِلَا صَكٍّ

وَيَرَى النَّاس صَفَاء وَنَقَاء

حَتَّى اِحْتَرَقَت ذَات يَوْمَ تِجَارَتِهِ

وَالْتَهَمَتْ النَّار كُلُّ بِضَاعَتِهِ

وَفَجَّأُة أَصْبَحَ لَا يَمْلِكُ إلا الجدران

فَذَهَبَ إِلَى الخلان

يَسْأَلُهُمْ مَاله لَا لِإِحْسَانِ

قَالُوا أَعْطِنَا الصَّكُّ لِتَثَبُّتِ العَدِّ

وَنرِدْ مَا تَدْعِي لَكَ عَدًّا وَنَقَدَا

قَالَ اِتَّقَوْا اللهَ الوَاحِدُ الأَحَد

وَهَلْ كَانَ بِينَا يَوْمَا أَحَدِ؟

قَالُوا اذْهَبُ أَنْتَ رَجُلٌ إمَّا مُحْتَالا أَوْ مَجْنُونا

وَرَاح يصَرِّخُ وَقَدْ أَصَابَهُ الذهول

سَأَذْهَبُ إِلَى السُّلْطَانِ وَهُوَ عَنْ رَدَّ مَالِي، مَسْئُول

أَدْخَلُوهُ البيمارستان

بَعْدَ أَنْ أَتَّفِقَ عَلَيْهِ زَيْفُ الخلان

وَبَعْدُ إِنْ كَانَ عَزِيزًا أُصْبِح مُهَان

وَتعْجِب الطَّبِيبَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَهْلا ؟

قَالِتْ لَهُ أَخٌ ذُو شَأْنٍ كَبِيرٍ

هُوَ مَنْ سَاعَدَ عَلَى دُخُولِ البيمارستان

فَقَدْ أخِذَ مِنْهُ مِنْ المَالِ الكَثِير

وَهَذَا أَمَر لَمْ أَجِدْ لَهُ تَفْسِيرٍ

هَزَّ رَأْسَهُ وَقَالَ لَا عَجَبَ ، لَا عَجَبَ

تَعَلَّمْتُ مِنْ عَمَلَيْ

أَنَّ المَالَ لِلكَثِيرِ مِنْ النَّاسِ هُوَ أَلَمنِي وَالأَرَبَ

الأَهَم مِنْ الأَهْلِ

المَالُ وَالمَنْصِبُ

أَمر لَا يَحْتَاجُ فى تَفْسِيرَهُ تَعَبٍ

سَآتِي بِزَوْجِكَ الآنَ إِنْ رَغَب

أَتَأَنَّى يَسِيرُ الهوينى تُغَلِّفُهُ الأَحْزَانُ

أَه تَقَطَّعَ قَلْبِي وَاِشْتَعَل الغَضَبُ كالبُرْكَانُ

آه، يَامِن ، كُنْتَ لِنَّا سَكَنًا وَأَمَانا

تَمْنَعُ عَنَّا الشَّرَّ وَتَحْمِي الدَّارَ

وَتَحْمِينَا مِنْ كُلٍّ خَبِيث غَدَّارٍ

رَجاءً تَحْدثُ إِلَى لِمَ لَا يُجِيبُ

نَظَرْت بِتَعَجُّبٍ لِلطَّبِيبِ

قَالَ أُتْرُكِيه وَلَّا تُزْعِجِيه

وَعَهْد عَلَى بِمَشِيئَةِ الرَّحْمَنِ أَشْفِيَه يَا

خَرَجْتُ وَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ

دَعَتْ ربَى يَحْفَظُهُ وَيَشْفِيه

أم الغلمان في السوق

رُحْتُ أَسِيرُ بِخُطُوَاتٍ حَثِيثَةٍ حَتَّى أَصْل لِلسُّوق

وَقَدْ أَرْهَقَنِي السَّيْرُ وَأَصْبَحْتُ لِأَيَّامِ الرَّاحَةِ أَتُوقُ

وَصْلَتُ وَدَخَلَتْ مِنْ نَاحِيَةٍ سَوَّقَ الحَرِير

كَانَ مَكَانَيْ المُفَضَّلِ حِينَ كَانَ الخَيْرُ كَثِيرا

وَاِسْتَدَرْتُ وَرُحْتُ أَسِيرَ عَنْهُ بَعِيدا

خَلَّعَت زِينَتكِ يَا دُنْيَا وَلَا أَتَمَنَّى مِنْكَ المَزِيدَ

وَلَا أَتَمَنَّى سِوَى شِفَاء زَوْجِي

وَيَكُون عِنْدَى يَوْم عِيدٍ

وَذَهَبْت بِقَلِيلٍ مِنْ المَالِ للقصاب

لِتَعُدْ لِلأَوْلَادِ لَحَمَا بَعْدَ طُولِ غِيَابٍ

قَالَتْ أَمْلِكُ دِينَارَيْنِ فَهَلْ يُفِيد؟

فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُعِدَّ لِغِلْمَانِي الثريد

يُمْكِنُكِ أن تَشْتَرِي بِهِما عِظَامًا

وَتَصْنَعِي عَلَى مَرَقِهِ الثريد

أَعْطِنِي بِقَدْرِ الدِّينَارَيْنِ وَلَا تَزِيد

قَالَ مِنْ مِثْلِكُم لَا يَأْكُلُ لَحْمًا

فَاللَّحْمُ لِمَنْ يَمْلِكُ المَال

قَالَتْ لَا تغتر فَدَوَامُ الحَالِ محَال

فَزَوْجَي حَاتِمُ كَانَ أَكْرَمَ الرِّجَال

قَالَ أنت زَوْجَةَ حَاتِمَ الَّذِي أصَابَةُ الجُنُونِ

قَالَتْ وَاللهِ زَوِّجِي خَيَّرَ الرِّجَال لَوْ تَعْلَمُونَ

قَالَ أَعْطِينِي الدِّينَارَيْنِ

وَأَعْطَاهَا اللَّحْمَ وَقَالَ فلتذهبين

مَشَتْ سَعِيدَةٌ ، تَبْسِمُ شَاكِرَة ، فاليَوْمَ سَتُطْعِمُ أَوْلَادَهَا

بَعْدَ أَنْ غَاب زَوَّجَهَا

أَدْعُو أَنْ يَلْتَئِمَ شَمْلُهَا بِزَوْجِهَا

اِلْتَفَتَ الصَّبِيُّ للقصاب

قَالَ كَيْفَ تُعْطِيهَا كُلٌّ هَذَا بِدِينَارَيْنِ

قَالَ اِرْحَمُوا مِنْ غَدره الزَّمَانِ وَخَانَه الخلان

إِذَا لَمْ تَتْرُكْ لَهَا المَالَ؟

كَسْر النَّفْس لَا يَكُون مِنْ شِيَمِ الرِّجَالِ

وَلَعَلَّ اللهَ عَنْ قَرِيب يُغَيِّرُ الأَحْوَالَ

نَظَرَ وَجْدهَا وَقَدْ

رَاحِتْ تهم بِالسَّيْرِ وَتَقُول

أَتَمَنَّى مِنْ الغِلْمَانِ أَنْ يَعُودُونَ

فَعَقْلِي بَدَوْنَهمْ بِكُلِّ الهَوَاجِسِ مَسُّكُون

الغلمان يلتقون عمهم رشدان

رَتَّبَتْ أُمُّهُمْ لِهُمْ صُحْبَةً عَلَى الطَّرِيقِ

وَتَمَنَّتْ أَنْ يَلْقَاهُمْ عَمَّهُمْ كَصَدِيقٍ

ويكون حصيفا بِصِلَةِ الرَّحِمِ يَلِيق

وَصَلُوا إِلَى بَيْتِه عِنْدَ المُغَيَّبِ

وَقَدْ كَانَ بِيتا ذُا مَنْظَرٍ مُهِيبٍ

وَطَرَقُوا البَابَ فَفَتَحَ لِهُمْ الحَارِسُ

وَقَدْ كَانَ بِهِمْ عَارِفَ

وَمِنْ طَبْعِ عَمِّهِمْ مشمئز قَارَفَ

فَهُوَ رَجُلٌ قَاسٍ بَخِيل

وَخَشِيَ أَنْ يَسْأَلَهُمْ الرَّحِيلَ

فَأَدْخلُهُمْ بِلَا اِسْتِئْذَانٍ

وَتُمَنِّي أَنْ تمرَّ تِلْكَ الزِّيَارَةَ. بِسَلَامٍ وَأَمَانٍ

وَاِسْتَقْبَلَهُمْ عَمُّهُمْ لَا بتَرْحَابَ بَلْ بِالعَجَبِ

مَاذَا هُنَاكَ ألكم في غاية أو أرب

قَالُوا يَا عَمُّ أَلَيْسَ بَيْنَنَّا مِيعَاد

فَهِمَ مَكْرَ أُمِّهِمْ

وَفَكَّرَ بِمَكْرِهِ أَتُرِيد أَنْ أَتَحَمَّلَ أَمْرَهُمْ

قَالَ اليَوْمَ عِنْدَي تَبِيتُونَ

وَمِنْ الصَّبَاحِ إِلَى بَيْتِكُمْ تَعُودُونَ

وَسَأُرْسِلُ لِكُمْ بَعْضًا مِنْ المَالِ

وَبَعْضًا مِنْ الطَّعَامِ

وَسَأَبْلُغُ أَبِيكُمْ حِينَ أَزُورُهُ السَّلَامُ

وَلَكِنَّ يَا عَمِّي

صَمْتًا ، أَنَا لَا أَتَحَمَّل الشَّكْوَى وَالأَنِينَ

وَلَا أَتَحَمَّلُ بُكَاءَ الصِّغَارِ وَالمُسْتَضْعَفِينَ

يَا عم نَحِن لَا نَطْلُب إِحْسَانًا أَوْ عَطَاء

تجاهل مايقولون والتفت يَا خَادِمٌ أَعُدْ لِهُمْ مَا تَيَسَّرَ

مِنْ خَبْزٍ وَزَيْتٍ وَمِلْحٍ وَمَاءٍ فِي الأَطِّبَاقِ

وَتَعُدْ لِهُمْ رُكُوبهِمْ لِيَعُودُوا لِبَيْتِهِمْ قَبْلَ الشُّرُوقِ

وَأَنْصَرِفُ وَكَأَنَّهُ فِي سِبَاقٍ

وَتَرْكُهِمْ حَائِرِينَ ضَائِعِينَ لَا يَفْهَمُونَ

وَعِنْدَ الشُّرُوقِ عَادُوا خَائِبِينَ

وَعَلَى رِحْلَتِهِمْ هَذِهِ نَادِمَيْنِ

أم الغلمان تعود للدار

وَصلَت، وَكَانَ أَوْلَادُهَا فِي الدَّارِ يَنْتَظِرُونَ

اِحْتَضَنَتْهُمْ وَقَالَتْ بَعْدَ اليَوْمَ عَنَى لَا تغَيِّبُونَ

اِجْلِسُوا حَتَّى أُعَد الثريد

وَأُقَصّ عَلَيْكُمْ أَمَرُّ أَبِيكُمْ

وَعَلَى تَقُصُّونَ

قَالَ كَبِيرُهُمْ وَكَان اِسْمُهِ أَمِير اِجْلِسي يَا أمِي

فَأَنْتَ عَلَى العِزِّ دَرَجَتِ

وَمِنْ بَيْتِ عَزِيزٍ قَدْ خَرَجْتِ

فَكَيْفَ عَلَى شَظَفِ العَيْشِ تَصْبِرِينَ

قَالَتْ أنْحَنِ خَيْرٌ مِنْ الأَنْبِيَاءِ والصديقين

فَأَيُّوب اِبْتَلَاهُ رَبّهْ فَكَانَ مِنْ الشَّاكِرِينَ

فَإِيَّاكُمْ إِنْ تَكُونُوا عَلَى مَا كُتُب اللهِ نَاقِمِينَ

خَبِّرُونِي مَا أَخْبَار عَمِّكُمْ

هَلْ تَحَدَّثْتُمْ فِي شَأْنِ أبِيكُمْ وَشَأْنَكُمْ ؟

أمِي قَبْلَ أَنْ نُخْبِرَكِ بِهَذِهِ الأُمُورِ

أرسلتينا لِعَمَّى وَهُوَ لَمْ يَسْأَلْنَا الحُضُورَ

وَقَدْ سَمِعْنَا أَنَّهُ أرْسَلَ أبينا إلى البيمارستان

مَنْ قَالَ هَذَا بِنِّي؟

هُوَ يَا أُمِّي قَدْ قَالَ حَتَّى بَدْوَ سُؤَالٍ

مُدَّعِّيًا أَنَّهُ يُسَاعِدُهُ عَلَى الشَّفَاء

مُتَّهِمًا أَبَى أَنَّ جُنُونَهُ وَبَاء

وَتَرَكْنَا فِي دَوَامَةِ الحَيَاةِ نَدُور

وَنَسِيَ أَنَّ الحَيَاةَ حَجَرٌ يَدُورُ

عِشْتُمْ بَنِي فِي تَرَفٍ

فَتَمَنَّيْتُ أَنْ يَمْنَعَ عَنْكُمْ

مِنْ الحَيَاةِ الشَّظَفُ

آه يَا أمِي لَوْ تَعْرِفِينَ

فَهُوَ يَهْتَم بِاسْمِه وَمَنْ يَكُون

وَلَا يهِمُّهُ مَا تَصَنَّعَ بِنَا السِّنُونَ

مِنْ اليَوْمِ نَحْنُ لِشُئُونِنَا رَاعَيْنَ

وَاللهِ لِنَّا وَلَكَ خَيِّر مَعَي

قَالَتْ هَلُمُّوا لِنُعِد الطَّعَامَ

فَأَعَدُّوه وَأَكَلُوا ثُمَّ ذَهَبُوا لِلمَنَامِ

أم الغلمان تنعى حظها والزمان

جَلَسْت أَمْ الغِلْمَان وَحِيدَة

وَقَدْ فَرَّتْ مِنْ العَيْنِ دَمْعُهِ شريدة

قَالَتْ رَجَوْتُكِ أَيُّهَا السَّقَمَ أَنْ تتَرَفَّقَ بِي

فَجَرَّحَ الحُزْنَ قَدْ تَقَيَّحَ وَأَلَمَّ بِي

مَا عُدَّتْ أَدْرَى كَيْفَ أُدَاوِيه

وَلَيْلَى قَدْ طَالَ شَهَادَة

وَدَمْعِي قَدْ زَادَ مداده

قَدْ كَانَ شَمْسِي وَكُنْتَ نَهَارهِ

كَانَ قَمَرِي وَكُنْتَ فِي الظَّلَامِ بَيَانُهِ

لَمْ أُعِدْ أَعْرِفُ مِنْ الأَلْوَانِ إِلا السَّوَادَ

وَلَمْ أُعِدْ أَهْفُو إِلَى فَرَح أَوْ حُلْو زَادَ

أَتَاهَا أَمِيرٌ؟

أُمِّي لمَّا البُكَاءُ والنوح

فَنَحْنُ لَا نَحْتَاجُ لِلبَشَرِ

نَحْتَاجُ لواهب الرُّوح وَهُوَ مِنْ خَطِّ الأَقْدَارِ بِلَوْحِ القَدْرِ

يَا بَنَى الوَقْتُ يَمُرُّ كَمَا السَّحَاب

وَقَلْبِي عَلَى وَالِدِكَ أَضْنَاهُ العَذَاب

أمِي أَلَمْ نَتَّفِقْ أَننا عَلَى الشَّدَائِدِ صَابِرِينَ

وَأَنَّنَا سَنَكُونُ لِلرَّحْمَنِ حَامِدِينَ

هَلُمِّي فَإِنَّ الفَجْرَ قَدْ آن

وَهَا أَنَا أَسْتَمِعُ إِلَى الآذَانِ

فَلِنُصَلِّيَ وَإن غَدًا لَنَاظَرَه قَرِيب

وَمِنْ تَوَكُّل عَلَيْهِ لَنْ يخَيِّبَ.

قَالَتْ نَعَمْ وَيَا بنِي الكَبِير الحَبِيب.

فَالزَّمَانُ خَيْرُ طَبِيبٍ

أم الغلمان تعد للفرار
وقد اتخذت القرار

بَعْدَ تَفْكِير وَتَدْبِير قَرَّرْتَ أَمْ الغِلْمَان

أَنْ تَخْرُجَ مِنْ الدِّيَارِ

وَإِنْ تُعِدُّ العِدَّةُ لِلفِرَارِ

لَمْ تَعْرِفْ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي بِالمَالِ

إِنَّ العَطَاءَ مِنْ حَوْلِهَا دَرْبٌ مُحَال

وَقَرَّرْتَ أَنْ تَعْمَلَ بِالمَكْرِ وَالاِحْتِيَالِ

وَمَكْرُ النِّسَاءِ تَهْتَزُّ لَهُ الجِبَال

إِنْ لِلنِّسَاءِ بَرَاعَةٌ وَأَيُّ بَرَاعَةٍ

فَالرَّجال بِالسِّلَاحِ يَتَقَاتَلُونَ

وَالنِّسَاءُ بِالعُقُولِ وَالمَكْرِ يَنْتَقِمُونَ

آه يَا أَشْبَاهُ الرِّجَالِ إِنْ لِلاِنْتِقَامِ سَاعَةٌ

وَقَدْ حَانَتْ لِكُمْ السَّاعَه

عنْدَي أَرْبَع رِجَال

الاِنْتِقَامُ مِنْهُمْ حَلَال

وَأَنَا لَا أَخْشَى فِي الحَقِّ لومة لَائِمٍ

وَرَبِيٌّ بِنْيَتي عَالَمٍ

وَقَدْ رَسَمْتُ فِي عَقْلِهَا للخطه مَعَالِمَ

مكر أم الغلمان

قَالَتْ سَأَبْدَأُ بِقَاضِي القُضَاةِ

وَهُوَ يَتَبَجَّحُ بِأَنَّهُ يُمَثِّلُ عَلَى الأرض عدَالَّاتِ الإِلَهِ

إِنَّ الصُّبْحَ مَوْعِدِنَا

اِرْتَدْت رِدَاءَ العَوَزِ

وَقَالَتْ عَلَى اللهِ تَوَكُّلِنَا

خَرَجْت إِلَى الدِّيوَانِ

وَوَقَفْت فِي آخَرِ المَكَانِ

تَنْتَظِر حَتَّى يفرِغَ مِنْ الشَّاكِينَ

وَقَرَّرْتِ أَنْ تَطْلُبَ حقّهَا

بِصِيغَةِ الرَّجَاءِ وَالإِحْسَانِ

قَالَتْ يَا سَيِّدِي القَاضِي

أَنَا زَوْجَةُ حَاتِمَ

قَالَ مَاذَا هُنَاكَ

لِي أمْرٌ وَهُوَ بَيْنَنَّا سِر

وَلِغَيْرِكَ لَنْ أُسِرَّ

فَصَرَّفَ الحُرَّاس

مَاذَا يَا سَيِّدَةٌ ؟!

يَا سَيِّدِي أَنْتَ الأَكْثَرُ عَدَّلا بَيْنَ النَّاسِ

وَأَنْتَ تَعْرِفُ دَارَنَا وَهِيَ بَيْنَ الدَّوْرِ

لا أَفْضُلُ مِنْهَا أَلا قَصَّرَ السُّلْطَان

قَالَ أَعْرِفُ هَذَا فَمَاذَا الآنَ ؟!

أُرِيدُ أَنْ أَنْتَقِلَ إِلَى بَيْتٍ صَغِير

وَإِنْ أَبِيعهَا بَدَلًا مِنْ أَنْ أَسْتَجِيرَ

وَأنْ أَعَطى لأولدي مِنْ المَالِ اليسير

وَمَا شَأْنَيْ فَأَنَا لَا أَشْتَرِي وَلَا أَبِيع

أَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَكَ قَبْلَ الجَمِيعِ

قَبْلَ أَنْ أَعْرِضَهَا عَلَى كَبِيرِ التُّجَّارِ

إِنْ كُنْتِ تَرْغَب بشَرَاءَ الدَّارِ

أخذُهُ الغُرُورُ ، لَنْ يَسْكُنُهَا إِلَّا أَنَا

فَأَنَت أَفْضَلُ مِنْ فِي الجِوَارِ

وَمَتَى سَيَخْرُجُ زَوْجُكَ

هَذَا رَجَائى لَكَ الآنَ

إِنْ تُسَاعِدنِي عَلَى خُرُوجِهِ مِنْ البيمارستان

وَأنْ يُقَالُ بَيْنَ النَّاسِ أنه قَدْ بَرِئَ مِنْ الجَنَانِ

وَحُجَّةُ البَيْتِ تَكُونُ عِنْدَكِ عَنْ قَرِيب

فَقَطْ أَحْتَاجُ إِلَى مَالٍ

حَتَّى أَشْتَرِيَ الدَّارَ الجَدِيدَةَ

وَهَلْ أعْطِيكَ مَالا بِلَا حُجَّةٍ؟

قَالَتْ : وَمَنْ يَجْرؤ أَنْ يُخَلِّفَ الوَعْدَ

وَأَنْتَ بِيَدِكَ الوَعِيدِ وَلَكَ العَهْد

إِذَا أَخْلَفْتُ أُعِدُّ زَوْجِي إِلَى البيمارستان

وَاِتَّهِمْنَا جَمِيعًا بِالجِنَانِ ، فِكْرٌ وَأَعْمَل التَّفْكِيرَ

وَأَخَذَهُ الغُرُورُ ظَنًّا أَنَّهُ يَمْلِكُ كُلَّ الأُمُورِ

وَقَدْ كَانَ

وَأَعْطاهَا مَا يُسَاوِي نِصْفَ ثَمَنِ الدَّارِ

وَقَالَ هَذَا كُل المَالِ أُرِيدُ حُجَّةَ العَقَّارِ

سَتَكُون لَكَ يَوْمٌ نَنْتَقِلُ إِلَى مَنْزِلِنَا الجَدِيد

وَأَنْتِ سَتَكُون بِقُصَّرِنَا سَعِيد

عَرَفْت أَنَّ طَمَعَهُ لَيْسَ عَلَيْهِ بِجَدِيدٍ

وَقَالَ : سَيَكُونُ زَوْجُكَ عِنْدَكِ فِي خِلَالِ أَيَّامٍ

قَالَتْ : لَكَ التَّحِيَّةُ وَالسَّلَامُ

أم الغلمان ترتب للرحيل

خَرَجْتُ مِنْ عِنْدَهُ وَقَدْ اِخْتَمَرْتُ فِي رَأْسِهَا الأَفْكَارِ

فَبِلَادُهُمْ تخْرِجُ مِنْهَا القَوَافِلَ مَرَّةً فِي الشَّهْرِ

وَلِأَّهَا تَعْرِفُ أَنَّ القَاضِيَ سَيُرْسِلُ مَنْ يَتْبَعُهَا

وَلَنْ يَتْرُكْهَا لَيْلَ نَهَارَ

عَادَتْ لِبَيْتِهَا وَخَرَجَتْ

مِنْ الخَلْفِ بِشَكْلٍ غَيْر شَكْلِهَا

وَقَدْ وَضَعَتْ الخمار عَلَى وَجْهِهَا

وَاِتَّجَهْت إِلَى مَكَانِ القَوَافِلِ

قَابَلَتْ كَبِيرَهمْ

وَتَسَاءَلْتَ بِصَوْتِ خفيض مَتَى تَخْرُجُونَ؟

وَإِلَى أى من بِقَاعِ الأَرْضِ ترَحِّلُونَ

قَالَ عِنْدَ اِكْتِمَالِ القَمَرِ يُكَوِّن الرَّحِيل

إِلَى جِهَاتِ الأَرْضِ الأَرْبَعَةُ بِلَا تَأْخِيرٍ

قَالَتْ أَنَا اِمْرَأَةُ وَحيدة لِي أَب مَرِيض

وَزَوْجِي فِي الحَرْبِ مَات شَهِيد

وَتَرَكَ لِي غِلْمَانا وصبية. وَقَدْ جَارَ عَلَيْنَا الزَّمَانُ

نُرِيدُ أَنْ نُرَحِّلَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا يَنْبُوعَ مَاءٍ لِلاِسْتِشْفَاءِ

وَأَنْ تَكُونَ شَمْسَهَا مَشْرِقِة وَحَدَائِقَهَا غِنَاء

وَإِنْ يَعْرِفُ أَهْلَهَا مَعْنِيَّ العَدْلِ

وَأَلَّا يُطَوِّلُ بِهَا خريف أوشِّتَاء

تبسم قائل يَا اِبْنَتي أَنْتِ تَطْلُبِينَ الجِنَانَ

وَهِيَ فِي السَّمَاءِ

إِمَّا الأَرْضُ فَحبْلِي بِالشَّقَاءِ

إِذَن إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ بِأَبِي لِلعِلَاجِ؟

دَعِينَى أَخْتَارُ لكُمْ أَرْضِا بَعِيدَةً

نعم فكل ماأُرِيدُ أَنْ يَسْتَعِيد أَبِي أَيَّامَهُ السَّعِيدَةَ

أَتُرِيدينَ وَاد ، أم وَاحُهِ ، أمْ مَدِينَةٌ؟

أرِيد أَرْضا بَعِيدَةٌ خُلُقهَا قَلِيلٍ وَخَيْرِهَا وَفِيرَ

قَالَ هُوَ وَادِي الأَحْلَامِ

سَتَعِيشُونَ هُنَاكَ فِي سَلَامٍ

قالت هاك بَعْضُ الَمَالَ
وعليكِ أَنْ تَعد لِنَّا الرُّحَّال

نَاقَتَيْنِ وَاحِدَةٌ لَأَبَى المَرِيض

وَالثَّانِيَةُ لِي وَلِابْنَتِي. وَحِصَانَين لِلوَلَدَيْنِ
وبعض الزاد ولا مزيد

قَالَ وَبِاسْمِ مَنْ أُنَادِيكُمْ؟

قالت نحْنُ عَائِلَةُ الشَّيْخ مَسْعُود

أَخْبِرْنِي الآن مَتَى إِلَيْكَ نَعُود؟

قال عِنْدَ اِكْتِمَالِ القَمَر يَكُونُ الرَّحِيل

بِلَا تَأْخِيرٍ وأتمنىَ أن اُحقق لكم الأمل المنشود

وَعَادَت مُسْرِعَةً فَقَدْ كَانَ طِفْلُهَا عِنْدَ زَوْجَةُ حَسَّان

وَرَاحَتْ تَدْعُوَ لِهُمْ السَّتْرَ وَالأَمَانَ

دَخَلَتْ مِنْ خَلْفِ الدَّارِ وَأَعَادَتْ تَرْتِيبَ شَكْلهَا

وَخَرَجْتُ مِنْ الأَمَامِ وَأَخَذَتْ طِفْلَهَا

وَأَكْثَرْت مِنْ الشُّكْرِ لَهَا

عَادَتْ وَأعَدَتْ الطَّعَامَ

فَقَرِيبًا يَعُودُونَ وَرَاحَتْ تَدْعُو لِهُمْ بِالسَّلَامِ

أَقْبَلَ الغِلْمَانُ. وَقَدْ تَغَيَّرْتُ وَجَوُّهمْ

وَأَصْبَحُوا بَعْدَ النَّعِيمِ فِي جَحِيمٍ

أَطْعَمَتْهُمْ وَقَالَتْ تَعالَوْا

يَا أَبْنَائي عِنْدَي لِكُمْ قِصَّةٌ

هَاتِ يَا أمِي وَنَحْنُ لَكَ مُنْصِتُونَ

وَلِكُلٍّ مَا تَأْمُرِين بِهِ طَائِعُونَ

وَقِصَّت قَصَّتْهَا وَحَبَّكَتْ مَعَهُمْ حِيلَتَهَا

وَقَالَتْ لِتَكُنَّ عِنْدَكُمْ هِمَمَ الرِّجَالِ

وَلَا تَخُشُّوهُمْ فَهْمُ سَرَابٍ وَخَيَال

وَ اِعْلَمُوا أَبْنَائِي جَرَائِم البَشَرِ لَا يَخِطْهَا القَدْر كَمَا يَدَعُونَ

بَلْ هُوَ تَلَبَّسَ الشَّيْطَانُ وَأَحْلَامُ العَظْمَةِ بِهَا يَتَشَبَّثُونَ

كُلُّ مَا عَلَيْنَا أَنْ نُحَدِّدَ نِقَاطَ ضعْفهِمْ

وَنَجْعَلُ أَطْمَاعَهُمْ مشنقة تَتَحَكَّمُ بِأَحْلَامِهِمْ.

وَهُنَا سَنَكْسبُ وَيُخَسِّرُونَ.

قَالُوا فَهْمِنَا يَا أمِي. وإنا لهم داحرون.

أم الغلمان تذهب لكبير التجار

فِي الصَّبَاحِ الجَدِيد

نَهَضْت أَمْ الغِلْمَان

متوكلة عَلَى الرَّحْمَنِ

اِرْتَدَتْ لِبَاسَهَا وَوَضَعَتْ خمارها

وَاِنْطَلَقْت بَعْدَ أَنْ وَضَعَتْ اِبْنَهَاعند زوجة حسان

وَصَّلَتْ وَقَدْ حَزَّمَتْ أَمْرَهَا

دَخَلْت وَتَكَلَّمْت بِصَوْتِ غريد

كَأنِهِ عَنْدَلِيب يشدوُ سَعِيد

أَسْعَدَ اللهُ صَبَاحَكَ سِيدَ التُّجَّار

وَمِنْ كَثْرَةِ تِجَارَتِهِ النَّاسِ تَحْتَارُ

وَمِنْ مَالِهِ يَغَارُ كُلُّ التُّجَّارِ

انتفخت أوداجه

وقال : مَنْ أَنْت يَا صَاحِبَةُ الصَّوْت الغريد والقُدُّ المَلِيح

أُجيبيني فقد عَصَفَتْ بِالقَلْبِ التَّبَارِيح

تَبَسَّمْت فِي سِرِّهَا فَضعْفهُ حبّهُ لِلنِّسَاءِ

وَهِيَ عَلِّه لَا يُوجَد مِنْهَا شِفَاء

يَا سَيِّدِي أَنَا زَوْجَةُ حَاتِمَ

واستنكر ذَاكَ المَجْنُون

نَعَمْ قَالُوا عَلَيْهِ مأفون

وَلَكِنَّ دَعَّنَا مِنْ هَذَا لِي فِيكَ مَطْلَبا

قال : هاتى ماعندك
قالت : بصوت حزين أُرِيدُ أَنْ أَنْتَقِلَ إِلَى بَيْتٍ صَغِير

وَإِنْ أَبِيع قصَرنَا الكَبِير. وَلَمْ أَجِدْ أَرْوَعَ مِنْكَ لِيَشْتَرِيَهُ

وَيَسْكُنُ دُونَ البَشَرِ فِيه

قَالَ يَا سَيِّدَةَ النِّسَاء أَنْتِ مِنْ حور الجَنَانِ

أَعْرِفُ عَنْكَ أَنَّكَ الأَرْوَعُ بَيْنَ الحِسَانِ

فَكَيْفَ لِلبَلَدِ تَتْرِكِينَ وَعَنْ الجِوَارِ ترَحِّلِينَ
وانت من دار عز بيت صغير تسكنين

ما عاد الزمان لنا صاف ولا طاقة لنا اليوم ببيتنا الكبير
فهو يحتاج الى جهد فأنت تعرف أنه قصر وقد أصبحنا فى
زمرة الفقرء لذا نحتاج إلى تغير

وَأنت سيد الكرماء كريم معطاء

لتَسْتَطِيع أَنْ تَكُونَ لنا مِنْ الزَّائِرِينَ

وحتى وإن خَرَجْنَا إِلَى حُدُودِ المَدِينَةِ

يُمْكِن تَأْتِينَا زَائِرًا وَتحْظَى عندنا بِالسَّكِينَةِ

وَقَفَتْ بِهُدُوءٍ وَسَكَتَتْ عَنْ الكَلَامِ

حَتَّى تدَغْدِغَ خَيَّالَهُ ويعيش الأَحْلَامِ

تَبَسُّم وَحَرَّكَ لِسَانَهُ وَخَبَالُهُ طَافَ

كَأَنَّهُ ذِئْبٌ وَأَمَامَهُ قَطِيعٌ مِنْ الخِرَافِ

قَالَ تأمرى تطاعين

يَامَنُ بِالحَسَنِ تُجملِينَ

هَلْ سَتَشْتَرِي الدَّار؟

قَالَ هَذَا أَمَر لَا يَحْتَاج حِوَار

قَالَتْ أَحْتَاجُ إِلَى دَنَانِيرَ

نَظَرَ لَهَا يَبْتَسِمُ

وَالمَكْرُ عَلَى وَجْهِهِ يَرْتَسِمُ

لَكَ هَذَا بِلَا تَأْخِيرٍ

قَالَتْ حُجَّةُ البَيْتِ عِنْدَ المحَاقِ

قَالَ لَكَ هَذَا وَهو بيننا اتفاق

قَالَتْ أَنْتَ سَيِّدُ الأَخْلَاقِ

أَعْطَاهَا مَا طَلَبَتَ مِنْ المَالِ

وراوغته حتى لا يطلب صك رَحَلْتُ وَقَدْ حَقَّقَتْ الآمَال

وَقالت لنفسها وقَّعْت يَا سِيدَ النِّفَاق

إلى المرابي

الوَقْتُ أَزِفَ لَمْ يَبْقَ أَلا يَوْمَيْنِ

وَقَدْ أَصْبَحْتُ وَالزَّمَانُ مُتَسَابِقِينَ

هَرْوَلْت مُسْرِعَةً كَالطَّيْرِ بِجَنَاحَيْنِ

فَالوَقْتُ مُرٌّ. وَالعُمَرُ يَمُرُّ. وَبينهما نتجرع منَ البشر المُر

وَصلت لبيت المرابيٍ و قَفَتْ عَلَى البَابِ تَطْلُبُ اللِّقَاءُ

وَقَدْ عَزَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهَا

وَلَكِنَّ فِي اِنْتِقَامِهَا بَعْضُ من العَزَاءِ

دَخَلَتْ مِطْرَقَةٌ الرَّأْسَ

وَأَلْقَتْ تَحِيَّةَ المَسَاءِ

وقالت بثقه أَنَا زَوْجَةُ حَاتِمَ

قال مرحبا هل لك عندى غاية
قالت َقَدْ أَضْنَانِي العَيْشُ وَالشَّقَاءُ

قَالَ مَا عِنْدَي مَالِ

فَقَدْ تَغَيَّرَتْ الأَحْوَال

قَالَتْ مَا لِي لِمَالِكِ حَاجَة

وَلَكِنَّ لِي مِنْكِ حَاجَةٌ

قَالَ تأمرين وَمَا تَطْلُبِينَ

فَقَدْ كَانَ زَوْجُكَ مِنْ الأَصْدِقَاءِ الصَّالِحِينَ

قَالَتْ فِي سِرِّهَا تحْدِثُ نَفْسَهَا

آه يَا وَجَّهَ الْبُومُ يَا شَيْخُ المُنَافِقِينَ

وَنَظَرْت لِعَيْنَيْهِ الجَاحِظَتَيْنِ

فَرَأَتْ أَحْلَامَ الطَّمَعِ تَتَرَاقَصُ بِي جَفِّيهُ

وَعَرَفْتُ أَنَّهَا حَرَكَتُ مَكَامِنُ الرَّغْبَةِ لَدَيْه

أَنْتِ تَعْرِفُ أَهْلَ البَلْدَةِ

وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَبِيعَ الدَّارَ

فَتخَيِّرُ مَا تَجِدُهُ صَالِحًا مِنْ التُّجَّارِ

فَهِيَ تَسَاوِي خَمْسِينَ أَلْفِ دِينَارٍ

وَسَأَبِيعُهَا بِالنِّصْفِ فَمَنْ مِنْهُمْ تَخْتَار

عَلَى أنْ يَنْقدنِي المَال الآنَ

فَقَدْ أَرْهَقَنَا الجُوعُ وَالزَّمَانُ.

الجُوَّعُ قَدْ تَذَوَّقْتُ. وَالعِزُّ قَدْ فَارَقْتُ

قَالَ أخَبرِينِي يَا بَنَتْ الحَلَال

كَيْفَ يَضْمَنُ مَنْ يُعْطِيكَ المَال؟

قَالَتْ نَحْنُ أَضْعَفَ أَنْ نُخَلِّفَ فهَذَا مَحَال

فسنَشْتَرِي بِيتا صَغِيرا خارج البَلَدِ

وَأَسْكُنُ فِيهُ أَنَا وَالزَّوْجُ وَالوَلَدُ

وَسأُعْطِي حُجَّةَ البَيْتِ لِمَنْ يَشْتَرِي

رجاء خَبِّرْنِي هَلْ مَنْ مُشْتَرِي

فِكْر وَقَالَ : مَتَى تَنْتَقِلُونَ

قَالَتْ يَوْمٌ نَمْلِكُ المَالَ وَنَدْفَعُ حَقَّ الدَّارِ

وَلَكِنَّ لِي طَلَب ، قال : هَاتِ وَقَدْ وَجَبَ

لَا أُرِيدَ أَنْ يَعْرِفَ أَحَدَ أَنِّي بِعْتُ الدَّارَ

فَإِنْ الطَّامِعِينَ فِي دَارِنَا أَشْرَارٌ " كَثَأْرٍ "

وَهَذَا زَمَنٌ مُرِيعٌ

قَالَ تِلْكَ وَرَقُهُ عَلَيْهَا تَوَقُّعَيْنِ

قَالَتْ لَكَ الأَمْر وَأَنَا مِنْ الطَّائِعِينَ
وقعتها واتفقا ان تعطيه الحجه عند المحاق
قالت هذا عهد بيننا واتفقاق

الخطوة الأخيرة

عَادَتْ لِمَنْزِلِهَا عَلَى عِجْلٍ

كَمَنْ يَفِر مِنْ الأَجَلِ

وَجَدْت أَبْنَاءهَا فِي الدَّارِ

قَالَتْ خَبِّرُونِي مَا الأَخْبَار

قَالَ الكَبِيرُ اِتَّفَقْتُ مَعَ مَالِكِ الدَّارِ

وَقَدْ نَشْرتهَا بَيْنَ التُّجَّارِ

وَقَالَ الأَوْسَطَ أَحْضَرْتُ أَخِي مِنْ أُمِّ حَسَّانَ

قَالَتْ اِعْلَمُوا أَنَّنَا فِي سِبَاقٍ مَعَ الزَّمَانِ

فَلَمْ يَبْقَ إِلَا يَوْمَيْنِ عَلَى اِكْتِمَالِ القَمَرِ

الرِّحْلَةُ يَوْمٌ أَرْبَعَةٌ عَشْر

وَنَحْنُ نمْتَحِنُ مِنْ القَدْرِ

قَالَ : أُمِّي خَبَرَيْنَا مَا كَانَ

قَصَّتْ عَلَيْهُمْ وَقَالَتْ : اِسْمَعُونِي الآنَ

بَعْدَ غَدٍ الرَّحِيل وَلَمْ يَحْضُرْ أَبوكُمْ بَعْد

وَقَدْ بَدَأَتْ السَّاعَاتُ العَدَّ. وَرَسَمُوا الخُطَّةَ

وَقَالَتْ نَامُوا أَبْنَائي فَالصُّبْحُ لَيْسَ ببِعِيْد

أَبْعَدَ اللهُ عَنْكُمْ الشَّرَّ وَجَعَلَ قَادِمَ أَيَّامُكُمْ عِيدٍ

إلى رشدان

ذَهَبْتُ إِلَى رَشِّدَانِّ.

فَوَقَّتَ الاِنْتِقَامِ الأَخِيرَ قَدْ آن وَحَانَ

وَتَذَكَّرْت قَوْلَ اِبْنِـهَا

لَمَّا السَّعْيُ وَالحَيَاةُ تَعَب

قَالَتْ لَمَّا العَجَب

خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) فِي نَصْبٍ

وَكَانَ لِقَاء رشوان

أَلْقَتْ عَلَيْهِ التَّحِيَّةُ وَبِصَوْتِ كُلِّهُ أَلَمْ

قَالَتْ قَرَّرَتْ الرَّحِيلَ إِلَى دَارٍ غَيْر الدَّارِ

وَأَسْأَلُكَ الرأي

فَأَنْتَ خَيَّر مُسْتَشَار

قَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكِ

قالت : قَرَّرْتُ أَنْ أَبِيعَ الدَّارَ

حتى ولو بنَصِف ثَمَنَهَا وَلَا أَحْتَار

خَمْسَة وَعِشْرِونَ أَلْفٍ وَلَكَ الخِيَار

عَلَى أنْ اِسْتَلَمَ المَال الآن بلا تاخير

قَالَ : مَجْنُونَةً أَنْتِ كَيْفَ الدَّارُ تَبَعِىً؟.

خبرينى أَنْتِ وَأَبْنَائِكَ أَيْنَ ستَسْكُنِينَ

سَأَشْتَرِي دَّارًا خَارِجَ المَدِينَةِ

بثمن بخس حتى أحفظ نفسي وأكون على أبنائى أمين
الآن خبرنى هل عِنْدَكِ مَنْ يَشْتَرِي؟

فَصَاحَب الدَّار يُحْتَاجُ المَال

وَقَدْ تَعِبْنَا وَسَاءَ الحَال

ورشوان يَدَّعِي الفَقْرَ

وَخُرُوجُ المَالِ مِنْهُ نَصَّرَ

فَالمَالُ مِنْهُ كَخُرُوجِ الرُّوحِ

وَلَكِنَّ مُضَاعَفَتهُ

تُدَاوِي تِلْكَ الجُرُوحَ

فَسَكَّتُّ وَتَأَنِّي وَفِكْرُهُ حَارَ وَجَالَ

وَتَرَاقَصْت فِي عَيْنَيْهِ شَيَاطِينِ المَالِ

قَالَ عِنْدَي مُشْتَرَى وَلَكِنَّ أَيْنَ الحُجَّةُ

أَعْطِنِي بَعْض المَالِ وَتَكُون عِنْدَكِ حُجَّةٌ

وَرَاحَتْ تَمَنِّيهِ بِالمَكْسِبِ الكَبِيرِ

وَرَبِحَ المُشْتَرَى مِنْ المَالِ وَفِيرَ

قال وَمَاذَا عَنْ حَاتِمَ
قَالَتْ حِينَ يَخْرُجُ وَلَنْ يَكُونَ عَلَى مَالِهِ حَاكِم

قال انْتَظِرِي سأرى ما يكون ، خَرَجَ وَغَاب

وَعَادَ مَعَهُ كِيسٌ بِهِ دَنَانِيرَ

قَالَ هَذَا مَالٌ مِنْ صَدِيقٍ..

لَوْ أَمْلِكُ مَالِا مَا تَأَخَّرْتَ

وَلَكِنِّي فِي أَزْمَةٍ وَضِيق

تَبَسَّمْت قائلة : أُبْعِد اللهَ عَنْكَ الضّيق مَا مِقْدَارُ المَالِ.
قال : عِشْرُونَ أَلْفِ دِينَارٍ

وهم كل المبلغ لِشِرَاءِ الدَّارِ
ولكن هذا قليل فمنهم اشترى دارا
قال : هذا المتاح فإن رفضت فلك القرار

وأُكْتُبْ لِي صَكًّا فِي الحَالِ
حتى يطَمْئِن صَاحِبَ المَالِ

وَسَتَأْخُذِينَهُ حِينَ تَأْتِينِي بِحُجَّةِ الدَّارِ

نفذت ماقال وخَرَجْت عَلَى عِجْلٍ فَلَدَيْهَا مُهِمَّة هَامَّة

سَتَذْهَبُ لِلدَّارِ الجَدِيدَةِ لِيعْلِمَ الجَمِيعَ انها تسعى للإنتقال بهمه

كبير الغلمان يذهب للسلطان

وَكَانَتْ قَدْ اِتَّفَقَتْ مَعَ كَبِيرِ الغِلْمَانِ

إِنَّهُ سَيَذْهَب إِلَى السُّلْطَانِ

قال لَم يَا أُمِّي سَأَذْهَب لَهُ الآنَ

يابنى الوقت يفر من بين أيدينا دقائق تتبعها ثوان
فنفذ ما أقول وأَنْتَظِر حَتَّى اِنْتِهَاءِ المَظَالِمِ

وَقْفٌ فِي رَكْنٍ بِعِيْد و. و .و.

وصل فى الميعاد ووقف مُسْتَتِرًا بالإيوان

وَصَبَّرَ حَتَّى اِنْتَهَى السُّلْطَانُ

ثُمَّ اِقْتَرَبَ وَقَال عُذْرَا مَوْلَاي

لِي أَمْرٌ بَيْنَي وَبَيْنَكَ. قَالَ مَنْ أَنْتَ؟

لَمْ يِجِب اِقْتَرَبَ ، وَبِصَوْتِ خفيض

تِلْكَ حُجَّةُ مَنْزِلِنَا

قَرَرْنَا أَنْ يَكُونَ عَطِيَّةُ لِبَيْتِ المَالِ

وَإِنْ يَكُون وَقْفَا عَلَى الإِحْسَانِ

وَالأَفْضَل أنْ يَكُون بيمارستان

قَالَ السلطان قَدْ قَبْل وَلَكَ مَا تُرِيد

وَنَادَى..

عَلَيَّ بِخَازِنِ بَيْتِ المَالِ

وَقَالَ أَذْهَب مَعَهُ وَأُخْبِرهُ بِمَا لَدَيْكِ فى الحال

بُورِكَ فِيكَ وَفَّى وَالِدِيكَ ووهبكما بالاحسان إحسان .

ذَهَب وَقَدْ نَفَّذَ مَا قَاله السُّلْطَانُ

وَأَتَّجِه مَعَهُ إِلَى الدِّيوَانِ

وَقَالَ يَا سَيِّدِي لِي طَلَب وَرَجاء

قَالَ أَطْلُب بِنِّي مَا تَشَاء

لَا أُرِيدَ أَنْ يَعْرِفَ أَحَدَ بِهَذَا القَرَارِ

إِلَا بَعْدَ أَنْ نَنْتَقِلَ مِنْ الدَّارِ

قَالَ هَلْ هُنَاكَ مِنْ أسْرَارٍ

أمِي لَا تُرِيدُ شَفَقَة مِنْ جَارَةٍ أَوْ جَارٍ
فقد درجت على العز وقد غدر الزمان
قال طلبُك مجاب ..إذن اسمح لي بالإنصراف الآن

وَخَرَجَ سَرِيعًا لِيَعُودَ إِلَى قَاضَى القُضَاة

لِيَسْأَلْ عَنْ أَمَرِّ وَالِدِهِ وَمَتَى يَلْقَاه

قَالَ لأمير إنْ غَدًا لَنَاظَرَه قَرِيب

سَيَكُونُ فِي بَيْتِكُمْ غَدًا قَبْلَ المُغَيَّبِ

قال لَكَ التَّحِيَّةُ سِيدَ القُضَاة

وَبَعْدَ غَدٍ بِدَارِنَا الجَدِيدَةِ نِهَايَة سَعِيدَة
وأن نبدأ دنيا عن كل الـهموم بعيدة

وَعَادَ سَرِيعًا لِلدَّارِ

وَقَدْ كَانَ أَخَوَاهِ فِي الاِنْتِظَارِ

وَبَعْدَ قَلِيلٍ عَادَتْ أُمُّهُمَا

فَوَضَعْت الطَّعَامَ وَآَكِلًا بِلَا كَلَامٍ

وَبَعْدَهَا قَصَّ كُلّ مِنْـهُمَا مَا كَانَ

قَالُوا غَدًا تَمَام الحِيلَة

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ تَكُونَ عَلَيْنَا نِهَايَة جَمِيلَة

أمِي قَلْبِي وَاجِفٌ وَمِنْـهِمْ خَائِفٌ

يَا بَنِي مَا أَصَابَتْهُمْ إِلَّا شَهَوَاتُهِمْ
فلا يردى الرجال الا جموحهم

يَتَعَبَّدُونَ لَـهَا وَلَا يَسْتَحُونَ

فَأَرِّخِي لِهُمْ الحِبَالَ

وَالنَّصْر لهُمْ سَيَكُونُ سَهْلَ المَنَالِ

فَقَدْ أَصْبَحُوا يَتَسَاقَطُونَ كَأَوْرَاقِ الخَرِيفِ

وَإِنْ تَكَلَّمُوا سَيَتَّهِمُهُمْ السُّلْطَانُ بِالتَّخْرِيفِ

فأنتم تعرفون السلطان
مَا يَدْخُلُ تَحْتَ يَدَيْهِ لَا يَنُالُهُ إِنْسَان
فهو متملك قوى ثابت الجنان

واعلموا إن غدا لدينا عمل يحتاج إلى دقة
نقسمه وكل منا يؤدى ما عليه بدقة

الخروج الأخير

وَالآنَ الخُرُوجُ الأَخِير

وَيَحْتَاجُ دِقَّةً وَتَدْبِير

مُنْذُ الصَّبَاحِ طَلَبَتُ مِنْ النِّسَاءِ

أنْ يُسَاعِدْنَهَا فِي حَزْمِ الأَشْيَاءِ

وَأَعْطَتْ كُلا مِنْهُمْ مَا تَشَاءُ
وقد اختصت بالكثير زوجة حسان

فَقَدْ كَانُوا بِرَغْمِ العَوَزِ أَفْضَلَ جِيرَان
وتظاهرت أنها ستنقل مايكفى الدار الجديد بلا زيادة أو نقصان

وَقد كَانَت تعلم أن عسس القَاضِيَ يُرَاقِبُونَ

وَسيذَهَبُون لِيبْلُغُوهُ مَا يَكُونُ



وقد كان فَاطْمَئنُّ أَنَّـهُمْ راحلون

وَأَرْسَلَ الأَمْرَ إِلَى البيمارستان

لِيحْضِرُوا لَهُ حَاتِمَ لِيَطْمَئِنَّ أنَّ عِنْدَهُ هذيان

فَأُحْضُرُوهُ وَقَدْ قَيِّدُوهُ كَمَا الأَنْـعَامُ

وحين رآه أصابه العجب ..حقًّا هَذَا حَاتِمُ الكْرِيمُ

قَدْ أَمْسي بَقَايَا إِنْسَانٍ

مَحْنِي الظَّهْرِ زَائِغ العَيْنَيْنِ

فَاطْمَئِنُّ وَقَالَ لِلجُنْدِيِّ

خُذْهُ إِلَى دَارَه وَأَخْبَرَ أَمْ الغِلْمَان

أَنَّى أَنْتَظِرُهَا بَعْدَ يَوْمَيْنِ فِي الدِّيوَانِ

حاتم في الدار

وَأُقَبِّل اللَّيْل مُخِيفا

وَاللَّيْلُ الحَزِينُ لَهُ صَدًى وَحَفِيف

وَصَلَ الجُنْدِي مَعَهُ المَرِيضَ

وَكَانَ الظَّلَامُ يُغَلِّفُ المَكَانَ

وَكَأَنَّمَا الصُّبْح حَلَمَ بِعِيْد

طَرَقَ البَابَ وَوَقَفَ بِعِيْدا

وَفَتَحَ كَبِيرُ الغِلْمَانِ

قَالَ أين أَمْ الغِلْمَان .استفهم مَنْ أَنْتَ؟

قَال الرسول .. أخبرها اًن المَرِيضَ حَاتِمُ وَصَلَ الآنَ

خَرَجَتْ أُمّ الغِلْمَانِ تَعْدُو بِقَلْبٍ مَلْهُوفٍ

أَبْصَرْت جَسَدًا بِالمَهَانَةِ وَالذُّلَّ مَلفُوف

اِقْبَلْ يَا زَوْجِي لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكَ بَعْدَ اليَوْمَ وَلَا خَوْفَ

قَالَ المرسال

يَنْتَظِرُكَ القَاضِي بَعْدَ يَوْمَيْنِ

وَذَلِكَ صَبَاحَا فِي الدِّيوَان

أَخْبَرَهُ بَيْنَنَّا مِيعَاد

والتفتت قائلة زَوْجَيْ وُجُودِكِ بَيْنَنَّا عِيد

نَظَرَ مِنْ خِلَالِهَا إلى الفضاء البعيد

دمدمت ..أَقْسِمُ أَنْ نُعَوِّدَ أَفْضَلَ مِمَّا كَانَ

فَأَنْتَ قَلْبٌ يُفِيضُ حَنَانَ

أَغْلَقْتُ بَابَ الدَّارِ

وَالْتَفَتَتْ تَنْظُرُ وَعَقْلُهَا قَدْ حَارَ

آه يَا زَوْجِي غِيَابكَ يَوْمًا بِعَامٍ

وَقَدْ فَقَدْتُ الإِحْسَاسَ بِالأَيَّامِ

وَتَحَرَّكَ مَعَهُمْ كَأنهِ مِيتْ بَيْنَ الأَحْيَاءِ

أَجْلَسُوهُ وَلَمْ يَنْطِقْ

مَا هَذَا يَا أمِي إِنْ مَا يَحْدُثُ بِلَا مَنْطِقٍ

أَشَارَتْ إِنَّ صَمْتًا

هَلُمُّوا لِنَتَّفِقَ عَمَّا يَكُون فِي الغَدِ

فَهُوَ الفَيْصَلُ وَنَبْدَأُ فِي العَدّ

لِكُلٍّ مِنَّا مُهِمَّةٌ تُنَفِّذُ بِجَدٍّ

وَنَتَحَرَّكُ بِتَفْكِيرٍ وَتَأنِي وَهِمَّةٌ
وإياكم أن يحيد منكم عن المهمة

سَتَبْدَأُ أَنْتِ وَأُخُوَّتكَ بِنَقْلِ بَعْض الأَشْيَاءِ

وَتَعْمَلُوا بِجَدٍّ مِنْ الصَّبَاحِ لِلمَسَاءِ

أَمَّا أَنَا سَأَخْرُجُ فِي الخَفَاءِ

وَأَذْهَبُ إِلَى مَكَانِ القَوَافِلِ

وَلَكِنَّ بِدَوْرِ زَوْجَةِ حَاتِمَ

وَأَطْلُبُ أَنْ يَعِدَ بِعَيْرٍ

عَلَى عِجْلٍ وَبِلَا تَأْخِير

بِاسْمِ حَاتِمَ وَزَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهَا الغِلْمَانِ

إِلَى قَافِلَةِ أَرْضِ نُعْمَانَ

آمِي كَيْفَ نَذْهَبُ فِي قَافِلَتَيْنِ

وَالإِثْنَتيْنِ فِي اِتِّجَاهَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ

اِسْمَعُونِي وَتَأَنَّوْا

وَنَظَرْت بِطَرَفِ عَيْنِهَا

فَوَجَدْت الاِنْتِبَاهَ عَلَى وَجْهِ زَوْجِهَا

فَتَبَسَّمْت فِي الخَفَاءِ

كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّكَ بَالَغَ الذَّكَاء

وَعَادَتْ تَقُولُ

وَسَأُخْبِرُهُ أَنَّنَا سَنُرَكِّبُ مِنْ وَاحَةِ النَّخِيلِ
وسأطلب منه أن يخفى خبرنا فأنا أكره القيل والقال

عِنْدَمَا أَعُودُ سَنَدْعُو حَسَّانَا وَزَوْجَتُهِ

وَسَنُخْبِرُهُمْ فِي عَرْضِ الحَدِيثِ قِصَّةَ رِحْلَتِنَا

سَنَجْلِسُ حَتَّى المَسَاءِ

وَنُوقِدُ الشُّمُوعَ. فِي كُلِّ جنبات الدَّار

حَتَّى يَرَاهَا كُلَّ مِنْ فِي الجِوَارِ

حَتَّى يَظُنُّوا أَنَّنَا بِعَوْدَةِ حَاتِمَ فَرَحَيْنِ

وَنُطْلِقُ البَخُورَ حَتَّى يَشْمهِ الغَادِينِ وَالرَّائِحَيْن

وَسَتَنْطَلِقُ كُلُّ القَوَافِلِ إِلَى جِهَاتِ الأَرْضِ الأَرْبَعَة

بَعْدُ انتصاف اللَّيْل. سَنَتَسَلَّلُ فِي هُدُوءٍ

وَنَتْرُكُ البَخُورَ وَالشُّمُوعَ

سَيَظُنُّونَ أَنَّنَا إِلَى شُرُوقِ الشَّمْسِ سَاهِرَيْنِ

بِعَوْدَةِ وَالِدِكُمْ فَرَحَيْنِ

لَكَ يَا أمِي وَمَا تَأْمُرِينَ

هَيَّا فَلِنَذْهَبْ لِنَنَامَ

فَلَا نَعْرِفُ مَاذَا سَتَصْنَعُ بِنَا الأَيَّامُ

كَأنمَا النَّوْمُ أَمْسي عَسِيرا

وَقَدْ شَغَّلْهُمْ وَأَتْعِبْهُمْ جَمِيعًا التَّفْكِير

أَمَّا حَاتِمُ تَظَاهُر أَنَّهُ نَائِمٌ عَلَى السرير
ولكنه كان ضائعا وفي نفسه إحساس بالظلم مرير
فاقد للإتجاهات عاجز عن التفكير

أحكام التدبير

وَاِقْبَل الصَّبَاحَ طَارِدا مِنْ قُلُوبِهِمْ الأَوْهَامِ

اِسْتَيْقَظُوا وَأَكَلُوا مَا تَيَسُّر مِنْ الطَّعَامِ

وَبَدَأُوا فِي تَنْفِيذِ المَهَام

وَخَرَّجَت أُمُّ الغِلْمَانِ

وَطَلَبْت أَنْ يُوَصِّلَهَا، حَسَّان

وَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْ دَارِهِ فِي طَيِّ الكِتْمَانِ

وَذَهَبُوا إِلَى أَرْضِ القَوَافِلِ

وَقَدْ كَانَ مِيْدَانا بِكُلِّ أَنْوَاعِ البَشَرِ حَافِل

فَاِتَّجَهْت لِرَبِّ المَكَان

ألقت التحية والسلام
قائلة : لِي رَجاءً أُرِيدُ السَّفَرَ إِلَى أَرْضِ النُّعْمَانِ

التفت قائلا : لَقَدْ تَأَخَّرْتِ كَثِيرًا

وأعلميِ أن القَوَافِل عِنْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ تَسِير

قالت :أعْذِرِنِي فَعِنْدَي ظُرُوف جعلت حضورى باكرا عسير
سألها مستفهما .هل أعددتم عدتكم للرحيل؟
قالت : فَقَطْ أَحْتَاجُ إِلَى اثنين من البعيرْ

إذا أقبل منتصف الليل تحضرون بلا تاخير

قالت : لا سَنُسَبِّقُكِ وَأَهْلِي إِلَى وَادِي النَّخِيلِ

متعجبا قال: هَذَا طَرِيقٌ لِوَحْدكُمْ طَوِيلٌ

أعلم وَلَا أُرِيدَ أَنْ يَعْرِفَ أَحَدَ بِأَمْرِ خُرُوجِنَا

وَهذا مال البعير
لَكِنَّ هَذَا مَبْلَغٌ كَبِير

لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَعَلَيَّ أماناتكم بِكَثِيرٍ

قال : لك هذا وسَأَتْرُكُ النُّوقَ مَعَ قَافِلَةِ أَرْضِ النُّعْمَانِ

وبِاسْمِ من ؟ قالت زوجة حاتم وكنيتى أُمِّ الغِلْمَانِ

وَهِيَ تَعْرِفُ أَنَّهُمْ بَعْدَ التَّحَرِّي سَيَصِلُونَ

فَكُنْيَتُهَا أَمْ الغِلْمَان وَهَكَذَا يَعْرِفُونَ

وَكأنها عَلَى بِسَاطِ الرِّيحِ عَادَتْ لِلدَّارِ

وَقد رَجَتْ حَسَّانَ أَنْ يَحْفَظَ الإِسْرَار

وَأَخْبَرْتُهُ أَنْ زَوَّجَهَا قَدْ عَادَ

وَأَنَّ المَغْرِبَ بَيْنَهِمْ مِيعَاد

وَصَلْت وَقَدْ أُعِدُّ أَوْلَادَهَا الأَحْمَال

وَقسمَّتْهُمْ إِلَى قِسْمَيْنِ وكل بمقدار

مَا يَأْخُذُوهُ فِي التَّرْحَالِ

وَمَا يَتْرُكُوهُ فِي الدَّارِ

أَعَدَّتْ بَعْض الطَّعَامِ وَأَعْطَتْهُ لِحَاتِمَ وَكَلَّمَتْهُ
وكل من مروا به أخبرته

فَكَانَ بِالصَّمْتِ مُجِيب

عَاتَبْتُهُ فَنَظَرَ لَهَا كَأَنَّهُ عَنْهَا غَرِيب

وَجَلَسَ الصِّبْيَان مَعَهُ يَأْكُلُونَ

يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا وَيَتَعَجَّبُونَ

وَالدُّمُوعُ بِعُيُونِهِمْ عَالِقَةٌ وَلَا يَبْكُونَ

التفتت إلى الأولاد قائلة .أِتسْمَعُون

بَعْدَ أَنْ يَأْتِيَ الضُّيُوفُ وَعَلَى وَالِدِكَ التَّحِيَّةِ يُلْقُونَ

نَقُولُ أَنَّهُ يَحْتَاجُ لِلنَّوْمِ فَهُوَ مُرْهِقٌ مَحْزُونٌ

وَسَأَتْرُكُ لَهُ فِي غُرْفَتِهِ مَلَابِسِ الرَّحِيلِ

فَيَرْتَدِيهَا وَتَسْتُرُهُ كَآنِهِ كهل كَبِير

وَتَذْهَبُ إِلَى مَكَانِ القَوَافِلِ بِلَا تَأْخِيرٍ

وَتَسْأَل عَنْ رَاحِلَةِ الشَّيْخَ مَسْعُود
وتجلسه فى الهودج بحجة أنهُ عليل

سألها أمير هَلْ أَتْرُكُهُ وَأَعُودُ؟

أياك نَحْنُ مَنْ سَيَأْتِي إِلَيْكَ فَلَا نُرِيدُ عَلَى عَوْدَتِكَ شُهُودٍ

وَمَاذَا يَا أمِي إِنْ أَطَالُوا الضيوف المُكوث

قالت سَيَذْهَبُ أَخُوكَ إِلَى الدَّاخِلِ وَيَعُود

وَيقُولُ إنْ أَبينا أصَابَهَ كَابُوسٍ

سَأَسْتأذِنُهُ الرَّحِيلُ وهكذا سيكونون على حالته شهود

وَرَاح الوَقْت يُمِر كسيح الخُطُوَاتِ

كَأنمَا الشَّمْسُ عَلِقَتْ فِي السَّمَاءِ

أَوَانُهُ يَأْبَى أَنْ يَزُورَنَا المَسَاءُ

آه يَا قَلْبَي كَأنِيٍ أَصْبَحتْ عَجُوزًا شَمْطَاءَ

أَوْ أَرْضًا جَافَّةً بِلَا زَرْعِ أو ماء

قبل رأسها سمير قائلا : اِبْتَسِمِي أمِي وإياك وَالبُكَاء

فَلِنَبْتَهِلْ أن يَمُرُّ الوَقْتُ وَيَنْتَهِي زَمَنٌ الشَّقَاءُ

جَلْسَت تَنْتَظِرُ الضُّيُوفَ

وَقَدْ أَصْبِح عَقْلُهَا بِكُلِّ المَخَاوِفِ مَحْفُوف

وَأُتِيَ الضُّيُوفُ تِبَاعًا عُنُدُ المُغَيَّب

حَيَّوْه فَنَظَرَ لِهُمْ كَأنِهِ غَرِيب

اِسْتَدَارَ لِهُمْ وَجَلَسَ يَنْظُرُ لبعيد

وَكَأنَ قد وَقَّعَ هَذَا عَلَيْهُمْ شَدِيد

أَهَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ إِذَا زُرْنَاهُ يَكُون يَوْمَ عِيدٍ؟

أَجأبـهَمَّ أمير معتذرا أَنَّـهُ مَرِيضٌ؟
إسمحوا لى أن آخذه ليستريح

وَنَفَّذَ أمير مَا قَالَتْ وتحرك كأنه ريح

وَخَرَجَ مِنْ خَلْفِ الدَّارِ

وَرَاحَ يسيرً فِي الخَفَاءِ

حَتَّى يَتَحَاشَى أَيُّ لِقَاءٍ أَوْ حِوَار

وَرَاح يَدْعُوَ أنِ تُلْحِقُ بِهِ الأُمَّ فَمَوْعِدُ السَّفَرِ قَرِيب

وَقَدْ مَلَّ مِنْ تِلْكَ البِلَادِ فَقَدْ أَصْبَحَ فِيهَا غَرِيبا

وَبعد وقت قليل تَحَرَّجَ الجِيرَانُ

وَاِسْتَأْذَنُوا فِي الرَّحِيلِ

قَالَتْ أَتُرَحِّلُونَ الآنَ

أجابوها حيَّنَ يَشُفى حَاتِم سَيَكُونُ المَوْعِد وَالأَوَان

وَأَشَارَ لِهُمْ فِي السِرِّ حَسَّان

إِنْ فِي رِعَايَةِ اللهِ وَالأَمَانِ

وَقَامَتْ عَلَى عِجْلٍ وَزَادَتْ مِنْ الشُّمُوعِ

وَارْتَدَتْ مَلَابِسَهَا وَالغِلْمَان

وَقَدْ طَفْرَتَ مِنْ عَيْنَيْهَا الدُّمُوعِ

يَا بِيت عَشَّتْ فِيكَ سِنِينَ

سَيُرْهِقُنِي شُوقِي إِلَيْكَ وَيُضْنِينِي الحَنِين

فَقَدْ كُنْتَ لِي العِزُّ وَالأَمَان

وَلَكِنَّ لَيْس بِالبُيُوتِ نُحَيَّا

وَلَكِنَّ بِمَنْ فِيهَا مَنْ سُكَّان

أَغْلَقْت البَابَ الكَبِيرَ وَأَحْكَمْت الإِغْلَاقَ
وَقالت هلموا سَنَخْرُجُ مِنْ البَابِ الصَّغِير

وَأَنْتَ يَاسمير سَتُحَكِّمُ إِغْلَاقُهِ مِنْ الدَاخِلِ

ثُمَّ تَتَسَلَّق وَتَخْرُجُ مِنْ تِلْكَ الطاقة

وَأَتَلَقَّاكِ وَأُسَاعِدُكِ عَلَى الهُبُوطِ

حَسَنًا أُمِّيُّ سَأُنْفِذُ مَا تَقُولِينَ فَلَا دَاعَى للقنوط

أَطْلَقَتْ البَخُورَ وَزَادَتْ مِنْ النُّورِ

وهبط سمير وقد اطمئنوا لحسن التدبير
وَكَانَ الرَّحِيلُ وَرَاحُوا يَجِدُونَ فِي المَسِيرِ

وَيَسْأَلُونَ اللهَ الخَفَاءَ وَالتَّيْسِيرَ

ووصِلُوا بَعْدَ عَنَاءٍ

وَقَدْ خِيَمَ الظَّلَامِ عَلَى بُحُورِ الصَّحْرَاءِ

وَاِسْتَقْبَلَهُمْ الاِبْن وَأَشَارَ إِلَى النُّوقِ وَالخَيْلَ المُسَرَّجَةِ

فَدَخَلْت إِلَى هودجها بَعْدَ أَنْ اِطْمَأَنَّتْ عَلَى زَوْجِهَا

وَجلَسَ مَعَهَا الصَغِيرِ كَأنِهِ بْنتهَا

وَفَجْأَةً اِنْطَلَقَ النفير. وقال الحادى هَيَّا فَلِتَسْتَعِد العَيْرَ

قَدْ آنَ أَوَانِ الرَّحِيلِ

وَتحَرِّك الكُلُّ بِلَا تَأْخِيرٍ

وَتفْرِقُت القوافل إلى جهات الأرض الأربع
وذلك قَبْلَ وَاحَةِ النَّخِيلِ بِعِشْرِينَ مِيلٍ
وكانت تعرف أنهم عنهم سيبحثون
فهم فى وادى النخيل ينتظرون

وَكَانَ هَذَا عِنْدَ الشُّرُوقِ

وَرَاحِتْ قَافِلَتُهُمْ تَجِدُ فِي المَسِيرِ

وَطَوَيْت لِهُمْ الأرض سُبْحَانَهُ مِنْ بِيَدِهِ التَّيْسِيرِ

وَسَأُلْهَا ذَات يَوْمَ الصَّغِيرِ

كَيْفَ هُوَ وَادِي الأحلام ؟

قالت: كما سمعت هِيَ أَرْض فِي بَطْنِ الجَبَلِ

يَسْكُنُهَا خُلْقُ قَلِيلٍ

وَسَمِعْت قَائِدَ القَافِلَةِ يَقُول

لِنَّا عَشْرَةَ أَيَّامٍ وَلَكِنَّنَا سِرنَا كَأَنَهَا عِشْرُونَ.

فَسُبْحَانَهُ مِنْ سَيْرِ السَّحَابِ وَلَهُ فِي خَلْقِهِ شُؤُونٍ

وَجَلَسْت وَأُوَلِّادهَا فِي المَسَاءِ حَوْلَ حَاتِمَ يَتَسَامَرُونَ

وَقَدْ شَدَّتْ الخِيَامَ وَمَدَّ الطَّعَامَ

رِفْعَتُ عَيْنُهَا فَوَجَدَتْ زَوْجَهَا يَنْظُرُ لَهَا

وَكَانَ بَيْنَ نَظْرَاتِهِمْ صِدَامٍ لَا أَنَّهُ اِلْتِحَام

وَرُبَّمَا أَلْفُ عَلَامَةِ اِسْتِفْهَامٍ

زَوْجِي ، أُرْجُوَ أَنِّ تَرَاجُعَ التَّفْكِيرِ

فَحِينَ نَصْل سَيَكُونُ بَيْنَنَّا الكَثِيرَ

مِنْ حِوَارٍ وَكَلَامٍ وَإِسْتِفْسَار وَتَفْسِيرٍ

فَتَرَكَ الطَّعَامَ وَدَخَلَ لِلخِيَامِ

فَتَنهدت هَيَا يَا أَوْلَاد فَأَمَامَنَّا بِضْعُ سَاعَاتِ لننام

لِنَسْتَيْقِظْ عِنْدَ الفَجْر لكُمْ أَجْمَل أَحْلَامٍ

وَهَكَذَا حَلَّ عَلَيْهُمْ مِنْ جَدِيدٍ السَّلَام

،،،،،

والتفت الشيخ زهران يقول اكتفيتم الآنَ
وَبَعْدَ أَنْ اِنْتَهَتْ قِصَّةٌ أَمْ الغِلْمَان

أَرْجُو أَنْ تَكُونَ قَدْ اقَنَّعْتَم

أَنْه لَاشَى دَائم إلَا وَجْهَ الرَّحْمَنِ.

قَالُوا يَا شَيْخِنَا مابين أرض وسماء يكون العجب العجاب
خلق البشر تتناحر تتجاذب الغنائم كأننا نسكن غاب
أليس كذلك ياشيخنا
ياشيخنا ... ياشيخنا ... أجبنا ياشيخنا

الجزء الثانى

الهروب الى الواحة المرصودة

رحله إلي الواحة المرصودة

أَغْمَضَ الشَّيْخُ عَيْنِيَّه وَرَاح فِي صَمْتٍ عَمِيق

ظَنُّوهُ فِي غَفْوَةٍ وَاِنْتَظَرُوا أَنْ يُفِيقَ

وَحِينَ طَالَ الصَّمْتُ تَكَلَّمُوا بِصَوْتِ خفيض

يَا شَيْخِنَا لَقَدْ أَسْعَدْتَ بِحَدِيثِكَ قُلُوبِنَا

وَجَلَلْتُ بالحكمة عُقُولِنَا

وَلَكِنَّ أَلَنْ تُخْبِرُنَا يَا شَيْخُنَا زَهْرَانَ

مَاذَا حَدَثَ إِذْ خَرَجَتْ أُمُّ الغِلْمَانِ مِنْ أَرْضِ كنعان؟

وَمَاذَا حَدَثَ لِهُمْ فِي الطَّرِيق

وَهَلْ أَدْرِكُوهُمْ أَمْ وَصِلُوا بِسَلَامٍ؟

وَمَاذَا صَنَعَتْ بِهِمْ الأَيَّام

ضَحِكَ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ وَقَالَ أَكَثُرْتُمْ مِنْ الكَلَامِ

فَدَعُونِي أَلْتَقِطُ الأَنْفَاسَ

فَانَّا شَيْخٌ كَبِيرٌ

قَالُوا أَعْذَرْنَا فَكَلَامُكَ يمس فينا وترا حساس

قَالَ إِن غَدًا لَنَاظَرَه قَرِيب

وَلِنَّا مَوْعِدٌ بَعْد المُغَيَّب

وَافْتَرَقُوا وَكُلّ إِلَى بَيْتُه سَار

وَرَاحُوا يُفَكِّرُونَ فيمَا تَحْمِلُهُ قِصَّةُ شَيْخِهِمْ مِنْ حكْمٍ وَأَسْرَارٍ

وَأَتَى اليَوْم الجَدِيدُ وَتَسَارَعَتْ السَّاعَاتُ

وَاجْتَمَعُوا بَعْدَ الصَّلَاةِ

وَقَالُوا يَا شَيْخِنَا هَاتِ مَا عِنْدَكِ مِنْ الحِكَايَاتِ هَاتِ

قَالَ صِلُوا عَلَى خَيْرِ الأنام

وَاسْمَعُو وَأَنْصِتُو لِلكَلَامِ.

تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ عَلَى سَفَرٍ وَقَدْ يَسرُّ اللهُ لِهُمْ الطَّرِيقَ. وَرَاحِتْ تَمْرَ رِحْلَتِهِمْ بلاعائق أَوْ ضِيق

وَقَدْ مَرَّ عَلَى رَحِيلِهِمْ أيام و أَيَّامٍ

بَلَا عَوَائِق وَبِسَلَامٍ

وَبِرَغْمِ أَنَّهُمَا فِي الصَّحْرَاءِ إلَا أَنَّ الشَّمْسَ كَانَتْ غَيْرَ حَارِقَةٍ

وَالهَوَاءُ يُدَاعِبُ الخِيَامَ بَرْقُهِ فَائِقَةٌ

وَسَأَلَ الصَّبِيّ أَمِيرَ قَائِدِ القَافِلَةَ: مَتَى الوُصُول قَالَ أَمَامَنَّا شَهْرٌ وَبِضْعُ أَيَّامٍ مِنْ المَسِيرِ
واعلم أن تلك الرحلة فيها أمر غريب
فهناك عمامة ترافقنا على طول الطريق تحمينا من الطريق كأنها حجاب
قال أمير إن الله للدعاء مجيب

وَرَاحَتْ تَسِيرُ بِهِمْ الركائب كَأَنَهَا تَطِير

وَقَدْ مرْ شَهْرٌ بِالكَامِلِ وقد طويت لهم الارض وفى أمان َالرَّكْب يسير

وَكَأَنَ اللَّيْل فِي أَوْلِه

وَقَدْ حَطُّوا الرُّحَّالُ وَ أَطْلَقُوا النفير

أقبل َعليهَمَّ رئيس القَافِلَةَ وَ أَلَقَى عَلَيْهُمْ التَّحِيَّةُ وَبَادَرَ عَنْ حَاتِمَ بِالسُّؤَالِ؟

قَالَتْ: وَاللهِ الحَال كماهو الحَال

قَالَ عِنْدَي أَمْرٌ يَا أُمُّ الغِلْمَانُ

قَالَتْ هَاتِ مَا عِنْدَكِ من طيب الكَلَامَ

قَالَ هاك رِسَالَةً مِنْ رئيس القَوَافِل بِكنعان.

فَتَحَتْ الرِّسَالَةَ وَكَانَتْ كالآتِي

مِنْ الريس (سَعْدُونُ)

إِلَى عَائِلَةِ حَاتِمَ المُتَّهَم بِالجُنُونِ

بَعْدَ التَّحِيَّةِ والسلام والكثير من الاِحْتِرَام

أَرْجُو أَلَا تجَزِّعُونَ

حِينَ تَعْلَمُوا أَنَّنَا عَلَى سِرِّكُمْ مُطَّلِعُونَ

فَحِينَمَا أَتَيْتُمُونَا لِلمَرَّةِ الأَوَّلِ لَمْ أَعْرِفْكُمْ

وَحِينَ دَفَعْت المَالَ كَانَ بِخنْصُرِك خَاتِم مُمَيِّز وَقَدْ اِشْتَرَاهُ حَاتِمُ مِنْ سَنَوَاتٍ

وَكُنَّا سَوِيًّا فِي أَحَدِ الرِّحْلَاتِ
وقد أعطته له أحد العرافات

وَقَدْ تَذَكَّرْتُهُ فَعَلَيْهِ نَقْشُ سومري غَرِيبٌ

وَكَانَ فِيهُ شِئ مُلَفِّتٌ إذ أنه فى الظلام يطلق ضوءاعَجِيبا

قِلَّتُ عَلَكِ حِينَ اِشْتَدَّ الكُرَبُ بعتيه.

وَحَيِّن أتِيَتَ فِي المرة الثَّانِيَةِ على أنكِ زوجة حاتم عَرَفْت أَنَّكَ هِيَ فقد كنت ترتديه وَتأكدت أن هُنَاكَ أَمَرَ تمكريه

فَ اِسْتَفْسَرْت عَنْ أَحْوَالِكُمْ وَعَرَفْتُ مَا أَنْتُمْ فِيه

فَغَيَّرَت لِكُمْ إذا وافقتم التَّدْبِيرُ

سَأُرْسِلُكُمْ إِلَى وَادِ وهو فى قرار مكين

أَوْ كَمَا نُسَمِّيهَا وَاحَةً اللَّازِمَانِ واللامكان

وَهِيَ فِي مَكَانٍ فَرِيد فَلَا تَسْأَلُوا عَنْ العُنْوَانِ

وَأَرْجُو أَنْ تقبلُوا هَذَا التَّغَيُّر

وَأَتَمَنَّى أَنْ أُكَوِّنَ قد أَحْسَنْتَ لِكُمْ التَّدْبِير
ولى رجاء أرجو أن تعطى خاتمك لابنك أمير
ولهذا قصة وحين نلتقى سيكون لكم مني التفسير

إرْسِلِي لِزَوْجِكَ تَحِيَّاتِي. وَأَخْبِرِيهُ أَنَّي لَا أَنْسَى الجَمِيلَ

وَهُوَ خَيْر مِنْ صُنْعٍ الجَمِيل

فَقَدْ اِقْرِضْنِي مَالا حِينٍ اِحْتَجْتُ

وَأَرَدْتُ إرْجَاعُهِ حَيِّنَ عُدَّتِ

عَرَفْتُ مَا وَصَلَ لَهُ الحَالَ

وَهَا أَنَا أُرْسِلُ مَعَ الرِّسَالَةِ المَالَ

وَأَرْجُو أَنْ تخْرِجُوا مِنْ القَافِلَةِ مَعَ الحَادِي عنُدَ انتصاف اللَّيْل

سَيَذْهَبُ مَعَكُمْ وَهُوَ لِكُمْ خَيْرٌ دَلِيل

وَاِعْلَمُوا أَنَّ دَرْبَهَا عَسِير وَيَسْكُنُ فِيهَا مَنْ سَئِمَ الزَّيْفُ وَيَبْحَثُ عَنْ التَّغيير

وَإِنْ رَفَضْتُمْ فَلَا لَوْمَ عَلَيْكُمْ وَلَا تَثْرِيبَ

وَاِعْلَمُوا إِنِى سَأَلْقَاكُمْ هُنَاكَ إِنْ شَاءَ اللهُ عَنْ قَرِيب. وَلَكِنَّ هُنَاكَ شَرْط لِتِلْكَ الوَاحَةِ

لَا يُخْبِرُ أَحَدَ عَنْ بَلَدِهِ وَلَا يَسْأَلُ غَيْرَه عَنْ قِصَّتِهِ

فَكُلِّ يَحْكِي وَقْتَمَا يَشَاء بِإِرَادَتِهِ

فَشَرَطْنَا أَنْ نَنْسَى مَا كَانَ

وَنَفَر مِنْ ظُلْمِ الإِنْسَان لِأَخِيهِ الإنسان

وَسَتَلْتَقُونَ شَيْخًا هُنَاكَ جَلِيل

وَسِيدَلَكُمْ عَلَى مَا تُرِيدُونَ وَهُوَ خَيْرٌ دَلِيل

وَقَدْ أَرْسَلْتُ لَهُ رِسَالَةً وَهَذَا آخَر الكَلَامِ

وَالسَّلَامُ خِتَامٌ

نَظْرَت وَفَكَّرَتْ وَجلَسَت مَعَ حَاتِمَ وَالغِلْمَانِ وَ أَوْجَزَتْ الكَلَامَ

وَقَالَتْ لِكُمْ الخِيَارُ أَمَّا وَادِّي الأَحْلَامَ وَقَدْ تَصِلُ أَيْدِيَهُمْ لِنَّا

أما الواحة وَأَنَا أَصْدَق الشَّيْخِ فَهُوَ مِنْ الكِرَامِ

نَظَرَتْ لِزَوْجِهَا وَالعُيُون مِرْآة لِلقُلُوبِ وَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُهِ أَكْثَرَ رَاحَةً وَأَمَانٍ

فَعَرَفْت أَنَّهُ يَعِي مَا تَقُول وَأَنَّ أَوَانَ عَوَّدْتَهُ لِلحَيَاةِ قُدُّ آنْ

قَالَ أَمِيرُ مَعَكَ يَا أُمِّي وَاِعْتَقَدَ وَالواحَةً أَفْضَلَ. وَأَنْتَ يَاسمير، مَعَكَ وَمَعَ أَمِيرَ

أُمِّي نَحْنُ سَوِيًّا فِي السَرَّاءِ وَالضَرَّاءِ

فَقَدْ يَكُونُ الغَيْرُ مَعْلُومَ أَكْثَرَ أُمَّانٍ وَأُرَحِّب أَرْضًا مِنْ المَعْلُومِ

قَالَتْ إِذَن فَلِنَتَوَكَّلْ عَلَى الَّذِي لَا يُغْفِلُ وَلَا يَنَامُ

خَرَجْتُ إِلَى حَادِّي الرُّكَب وَقَالَتْ مَتَى نَسِيرُ

قَالَ نَدَّعِي عِنْدَ اِنْطِلَاقِ الرِّحْلَةِ أَنَّ شَيْخَكُمْ مَرِيض لَا يَتَحَمَّلُ المَسِيرُ

سَنَنْتَظِرُ بَعْضَ الوَقْتِ

وَحِينَ يَبْتَعِدُ الرَّكْبُ وَيَخِف الغُبَارَ

سَنَتَوَكَّلُ عَلَى كَاتِمِ الأَسْرَارِ

وَجَاءَ الصُّبْحَ الجَدِيدَ وَقَدْ رَحَّلْتَ القَافِلَةَ لبعيد

وَقَالَ الحَادِي هَيَا فَأَمَامَنَّا طَرِيقٌ وَعْرٌ بِرَغْمٍ أَنَّهُ غَيْرُ بَعِيدٍ

نَظَرَ أَمِيرٌ وَتَسْاءلُ: إِلَى أَيْنَ ؟!

وَلا طَرِيقَ إِلَا مَا سَارَتْ بِهِ القَوَافِلُ

أَمَّا إِنْ هُنَاكَ طَرِيقٌ آخَر وَعُنّه أَنَا غَافِلٌ

فَتَبَسَّم: بَنِي صَبْرٌ جَمِيلٌ

والتفت يا أم الغلمان إلبسى أمير الخاتم

فهذا الخاتم مرصود له خادم

وقد أعطته العرافه لأبيه

وقالت: إن إبنك الكبير سيرشدكم به وهو من يجب أن يرتديه

هَلُمُّوا نَسِيرُ

وَتُحَرِّكُ الرَّكْبَ إِلَى الجِبَالِ وَقَدْ أَرْهَقَهُمْ المَسِيرُ

وَتَحَرَّكْت فِي رَأْسِ آلَامِ الظُّنُونِ.

هَلْ هُوَ أَهْلُ للثقة أَمْ أَنَّهُ قَدْ يَخُونُ؟

وَفَجْأَةً وَبَعْدَ نِصْفِ يَوْمً أَوْ يَزِيدُ تَكَشَّفَ لِهُمْ طَرِيقُ مِنْ العَدَمِ
ظَهْر لِلعُيُونِ

وَكَانَ فِي مَكْمَنٍ كَأَنَّهُ الدُّرّ المَكْنُونُ

وَقَالَ الحَادِي اِتَّبِعُونِي وَإِيَّاكُمْ أَحَدٌ عَنْ الدَّرْبِ يُحَيِّدُ

وَرَاحُوا يَسِيرُونَ فِي خَطٍّ ذُى تَعَرُّجٍ شَدِيدٍ

صُعُودا وَهُبُوطًا وَدَوَابُّهِمْ خَلْفَهِمْ بِقُوَّةٍ يحزبون

قَدْ كَانَ الطَّرِيقُ ضَيِّقَا وَهَمَ بِبُطْءٍ يَتَقَدَّمُونَ
وقد تقدم أمير وكان لخاتمه نور يضىء الطريق
وعلى دربه يسيرون

وَبَعْدَ وَقْتٍ تَسَلَّلَتْ الشَّمْسُ تَزَيحُ الظَّلَامِ وتهدىء الظُّنُونُ
وَتَتَسَلَّقُ السَّمَاءَ

وَحَمِدُوا اللهَ أَنَّ هَذَا الوَقْتُ مِنْ العَامِ شِتَاءً

وَبَعْدَ جَهْدٍ جَهِيد ظَهَرَ طَرِيقٌ مُتَّسِعٌ مِنْ بَعِيدٍ

وَعَادَ الطَّرِيقُ يَسْتَوِي وَشَعَرُوا كَأنمَا كَتَبَ لِهُمْ عُمْرَا جَدِيدا
وَلَمْ يَتَوَقَّفُوا حَتَّى أَقْبَلَ اللَّيْلُ الجَدِيدُ

وَالْتَفَتَ الحَادِي وَقَالَ سَنُشد هُنَا الخِيَامَ

وَنَتَّخِذُهُ مَقَرًّا لِلمَنَامِ. وَغَدًا نَصِلُ بِسَلَامٍ

وَقُبَيْلَ الشُّرُوقِ رَاح يُنَادِي شَدُّوا الرَّحَّال

لَقَدْ قُرْبَ المَنَالِ

وَفَجْأَةً تحَوِّل الصُّعُودُ إلى هُبُوطٍ

وَكَانَ سَرِيعًا اِسْتَمَرَّ سَاعَة أَوْ يَزِيد

وَفَجَّأة ظَهَرَتْ رُؤسُ أَشْجَارٍ مِنْ بَعِيدٍ

تُعَانِقُ السَّمَاء

وَيَتَسَلَّلُ النُّورُ مِنْ بَيْنِ فُرُوعِهَا

كَأَنَّهُ نَسَجَ حَرِير يُحِيطُ دُرُوبَهَا

مَا هَذَا الجَمَالُ مَا أَرْوعَهَا مِنْ وَاحِة غِنَاءٍ

وَتَدَفَّقْت فِي عُرُوقِهِمْ الدِّمَاءِ

أُصْبِح الطَّرِيق يَسِير بِلَا عَنَاءٍ

وَوُصُول عِنْدَ مُنْتَصَفِ النَّهَارِ

يَأْلُهَا مِنْ أرض منبسطة أشْجَارٍ بَاسِقَةٍ مُزْهِرَةٍ وَفَاكِهَةٍ وَرُطَبًا تَتَسَاقَطَ مِنْ النَّخِيلِ

وَنَبع مَاء جَارٍ سَلْسَبيل

وَعَلَى صَوْتِ النَّسِيمِ العَلِيل الزُّهُور تَمِيل

وَأَشْخَاصٌ يَسِيرُونَ وَيَجْلِسُونَ يَحْصُدُونَ وَبِجدٍّ يَعْمَلُونَ وَنِسَاءٌ يعْدُونَ الطَّعَامَ وَأَطْفَالٌ يَمْرَحْونَ

وَرَاحُوا يَتَقَدَّمُون بِكُلِّ هَمَّة وَقَدْ أَصْبَحَتْ الرائي وَاضِحَةٌ لِلعِيَانِ

وأصبحواعلي مَشَارِف المَضَارِبِ الآنَ

وَلَكِنَّ أَغْرَب شِي لَا خيام ولا مَنَازِل بِهَا يَسْكُنُون

أين يعش أهل الوادي وأين يبيتون

تَرْكهُمْ الحَادِي وَقَالَ أَنيخُوا الجَمَالُ وَأَفْرَغُوا الأَحْمَالَ وإياي فانتظرون

وَغَاب وَقْتٌ لَيْسَ بِقَصِّير

وَعَادَ مَعَهُ، شَيْخٌ كَبِيرٌ

بِوَجْهِ مُنِير وَلِحَيِّهِ بَيْضَاء

وَعُيُون زَرْقَاء وَبِشَرَّةٍ شهباء

حَيَّاهُمْ أَفْضَل تَحِيَّةً وَتَقَدَّمَ إِلَى حَاتِمَ فَنَظَر لَهُ وَلَمْ يجِب. وَهَزَّتْ لِلشَّيْخِ رَأْسَهَا فَلَمْ يَظْهَرْ عَلَى وَجْهِهِ أَيُّ شُعُورٍ غَرِيبٍ. وَالْتَفَتَ عَنْهِمْ حَاتِمُ ثُمَّ سَار. وَرَاح يَتَفَقَّدُ الجِوَار.

تَقَدَّمَتْ أُمّ الغِلْمَانِ

وَبَدَأْت الكَلَامَ بِإِلْقَاءِ السَّلَامِ

قَالَتْ يَا شَيْخِنَا اِعْتَذَرَ فَزَوْجِي مَرِيض

قَالَ لاتثريب عَلَيْكُمْ صبرا فَالإِيمَانُ بِاللهِ خَيْر طَبِيب

بِوَاحَتِنَا لَا يُوجَد عَلِيلٌ ، سَيَمُنُّ اللهُ عَلَيْهِ بِالشِّفَاءِ

اِعْذِرْنِي هلا أخبرتنا يَا شَيْخِنَا الجَلِيل

أَيْنَ نَحْن الآنَ وَمَا مَوْقِعُ واحتكم مِنْ خَارِطَةِ المَكَانِ؟

قال: أتْرُكُوا هَذَا سيجيب عَنْهُ الوَقْتُ فَلِكُلِّ شِئ أَوَانٍ

قالت :جِئْنَاكُمْ بِوَصِيِّهِ مِنْ الشَّيْخِ سَعْدُون

قَالَ: مَرْحَبًا بِكُمْ فِي أَرْضِ الأُمَّان

أَرْض اللامكان واللا عُنْوَانُ

حَيْثُ المَظْلُومِينَ مَنْ يَبْحَثُونَ عَنْ مَلْجَأٍ وَمَلَاذًّ
وهي واحة رصدت من زمن الأولين
حين كان ما تحت الأرض ومافوقها مختلطين
فتعجبوا فقال كونوا من الصابرين

قَالَتْ أُمُّ الغِلْمَانِ لَقَدْ عَصَفَتْ بِنَا الحَيَاةُ حَتَّى أَنَّ زَوْجِي بالبيمارستان لازال

قال لِتَجْلِسُوا للراحه وَاتَتْهُمْ أَحَدُ النِّسَاءِ بِمَاءِ زُلَالٍ.

فَشَرِبُوا وَارْتَوَا وَالْتَفَتَ الشَّيْخُ وَبَدَأَ بِالسُّؤَالِ.

أخَبِّرُونِي قِصَّتكُمْ أَنْتُمْ الآنَ

أَنْصَتَ بهدوء. ثُمَّ قَالَ سَبِّحَانٌ مِنْ عِلْمِ الإِنْسَانِ فَفَسَدَ وَظُلْم وَخَانَ

قَصَّتكُمْ قِصَّةُ مَلَكٍ أساء اِخْتِيَار اِلْمَعِيه

أَمَّا قِصَّتَيْ قِصَّةِ سُلْطَانَ ظَنٌّ أَنَّهُ مَلَك البِلَاد وَالعُبَّاد

وَقَدْ كَانَ ظَلَمَ البشر له غيه

مَا هِيَ قِصَّتُكِ يَا شَيْخِنَا وَقِصَّةُ تِلْكَ الأَرْضِ النَّدِيَّةِ؟

قَالَ لِكُلِّ مَقَامٍ مُقَالٍ فَلِتَسْتَقِرُّوا ثُمَّ يَكُونُ حِوَارا وَمَقَالا.

أَيْنَ يَا شَيْخِنَا سِيكُونَ المَبِيت

قال أمير أَرَى وَادٍ كَأَنَّهُ الجِنَان زَرْعٌ وَمَاءٌ وَرَعْيُهِ وَرَعِّيَان

وَأنْعَامٌ وَأَطْفَالٌ يَمْرَحُونَ وَحِسَان

وَلَكِنَّ لا بيوت وَلَا خِيَامَ فَأَيْنَ يِكُون المَبِيتَ

قَالَ الشَّيْخُ إِنَّ بُيُوتِنَا لَا تَظْهَرُ لِلعِيَانِ

فَلَيْسَ كُل. وَادِ ذِي زَرَعَ يصلح لِلسُّكَّانِ

فَنَهَضَ وَنَهَضْتُ وَنَهَضَ الصِّبْيَان

وَقَالَتْ أَيْنَ حَاتِمُ وَمَدَّتْ يَدَهَا وَقَالَتْ هَيَا يَا أَبَا الغِلْمَان
ولنتمنىَ أن يعودَ الزمان رخاء كما كان

وَسَارْ الشَّيْخُ وَصعد تَبِّة كَانَتْ عَلَى مَرْمِيِّ البَصَر

قَالَتْ يَا شَيْخُنَا ألا تخشي أنْ يَصِل عَنْ وَاِحْتَكَمَ خَبَر

قَال إنْ لَهَا قَصَّة وَهِيَ مَخْفِيَّةٌ عَنْ مِنْ نَظَرٍ

وَظَهْر دَرْبٌ مَخْفِيٌّ وَالصُّعُودُ إِلَيْهُ يسير

وَجِدُوا بَعْض الوَقْتِ فِي المَسِيرِ

وَظَهَرَ لِلعِيَانِ فَتَحَه فِي الجَبَلِ وَحِينَ تَقَدَّمُوا وَجِدُو مِثْلَهَا فَتْحَتَين

قَالَ هُنَا يَكُونُ المَقَرُّ وَلَا تَظُنُّوا أَنَّ السَّعَادَةَ بالقصور إنـها فقط بالسُكَّان

قَالَ أَمِير لَما لَا نَنْصِبُ خياما فِي بَطْنِ الواي وَنَنَام

يَابَنِي اعْلَم أَنَّ هَذَا مُمْكِنٌ فِي بَعْضِ العَامِ

وَلَكِنَّ نَحْنُ نَزْرَعُ وَنَحْصُدُ وَنَطْبَخُ وَنَأْكُلُ هُنَاكَ

حَتَّى يَأْتِيَ مِيعَادُ المُطَرَ. فَنَجْمَعُ عَلَى عِجْلِ المَحْصُولِ

وَكُلِّ مِنَّا عَنْ عَمَلِهِ مَسْئُولٍ

فَيَكُونُ فِي الكَهْفِ الكَبِيرَ المَخْزُونَ

وَيَتَحَوَّلُ الوَادِي إِلَى بُحَيْرَةِ مَاءٍ

إِذْ تَسْتَقْبِل كُلُّ مَمَرَّاتِ المطر فتمتلأ الآبار حتى لا يضيع كل هذا هباء

وَنَنْتَظِرُ هَاهُنَا شَهْرا أَوْ يَزِيدُ حَتَّى تَغُيض فِي بَاطِنِ الأَرْضِ. وَيَجْفُ الوَادِيَ وَتَرَفَّعَ عَنَّا مَاءَها السَّمَاءِ

وَتَجف الدُّرُوبُ فتزهر الأرض ونَعُود لِسِيرَتِنَا الأُولَى

وَنَزْرعُ وَنَحْصُدُ. وَهَكَذَا دَائِرَةُ الحَيَاةِ

وَهُنَا سَيَكُونُ بَيْتكُمْ وأشار إلى مكان فى الكهف الكبير اِسْتَقْطَعُوهَا وَكَمَا تشاءون رتبوه

أَتَتْهَا النِّسَاءُ مُرَحِّبَاتٍ وأَكْثُرْنَ مِنْ الهَدَايَا

شَكَرَتْهُن وَأَسْهَبَتْ فِي التَّقْدِيرِ وَقَبِلَتْ مِنْهُمْ العطايا

بِرَغْمِ أَنَّ بَيْتَهُمْ كَانَ جُزْءًا مِنْ كَهْفٍ فِي الجَبَلِ

إلَا أَنَّهُ كَانَ لِهُمْ قَصْرا لِإنهُ كَانَ مَفْرُوشا بِالأَمَلِ

وَرَاحِتْ أُمُّ الغِلْمَانِ تَصْنَعُ مِنْهُ بِيتا جَمِيلا بإتقان وبلا عجل فقد كان الكهف مصاطبا ودرجات متفاوتة المساحات هُنَا متكأ. َهُنَا مَنَامُةَ لِلصِّبْيَانِ وَهُنَا تَضَعُ الطَّعَامَ

وَقَدْ رَسَمْت فِي خَيَالِهَا الأَحْلَامِ

وَخَرَجْت وَجَدَتْ الصَّبِيَّةُ يَمْرَحُونَ وَيَضْحَكُونَ

وَزَوْجُهَا جَالَس مَعَ الرِّجَالِ بِلَا كَلَامٍ

وَتَنَهَّدْت وَتَمْتَمْت مَتَى تَطِيرُ أَيُّهَا الطَّائِرُ المَسْجُون

مَتَى تَخَلَّعَ رِدَاء التخادل؟

وَتَعَوَّدَ ذَاكَ الزَّوْجُ الحَنُونُ

وَعِنْدَ المَسَاءِ جَلَسَ الجَمِيعُ فِي بَطْنِ الوَادِي عَلَى الطَّعَامِ
مَرَحُ وَسُمْرٌ وَجَمِيلُ صَحِبَة وَعَزَف أَنُغَام

وَالْتَفَتَتْ أَمْ الغِلْمَان أَنْتِ يَا شَيْخِنَا مَا قِصَّتُكِ

نُرِيدُ أَنْ تَرْوِيَ لِنَّا حِكَايَةَ الوَاحِة وَحِكَايَتَكِ

قَالَ صَبْرًا سَيَكُونُ هَذَا بَعْدَ قَلِيلٍ

عِنْدَمَا نَفْتَرِشُ الغبراء. وَنَلْتَحِفُ السَّمَاءَ
====

نعود لشيخنا زهران وقد أنهكهه الكلام

نهض الشَّيْخُ زَهْرَان وَقَالَ دَعَوْنِي أَبْنَائِي أَذْهَبُ لِلمَنَامِ

وَغَدًا نَعُودُ لِلمَزِيدِ مِنْ الحكايا وَ الكَلَامِ

قَالُو لَكَ هَذَا يَا شَيْخِنَا فَلتَتْنعَم بِجَمِيل الأَحْلَام

وَاللهِ يَا شَيْخِنَا لَقَدْ تَخَفَّفْنَا مَعَكَ مِنْ هُمُومِنَا وَنَظَرِنَا لَهَا مِنْ بَابِ الفَرَجِ لَا بَابَ الضِّيقِ

وَقَامَ الجَمِيعُ وَكُلِّ مِنْهُمْ اِتَّخَذَ لِبَيْتِهِ طَرِيق

==============

وَجَاءَ اليَوْمَ الجَدِيدُ إِذَ الصُّبْحُ لَاحَ

فَتُوكِل الجَمِيعُ عَلَى الفَاتِحِ
. وَاِلْتَقَوا مَعَ الشَّيْخِ زَهْرَان بَعْدَ الصَّلَاةِ

وَقَدْ اِحْتَضَنَ اللَّيْلُ الَكُون وَصَوْتَ الكروان صداح

فَجَلَسَ مَعَهُمْ وَقَالَ صِلُوا عَلَى صَاحِبِ الوَجْهِ الصبوح تَرَكْتُكُمْ وَقَدْ كَانُوا يَنْتَظِرُونَ أَنْ يَحْكِيَ شَيْخ الوَاحَةِ لِهُمْ قِصَّتَهُ. وَكَيْفَ اِسْتَبْدَلَ بَلَدهُ بِوَاحَتِهِ

جلس وقد اتخذ من العشب متكئا.

وقال إِنَّ قِصَّتَيْ قِصَّةٍ مِنْ قِصَصِ الأَيَّامِ

وَنَحْنُ بَشَرٌ نَرْضَى بِكُلِّ مَايكُون حَتَّى لَوْ زَمْجَرَتْ اللَّيَالِي وَصَاحِبَتها الغَمَام

عِشْتُ بِبَلَدَيْ وَحِيدا وَقَدْ قَارَبْتُ عَلَى الخَمْسِينَ

فَقِيرٌ لَا أَمَلَ دِينَار وَلَا نَقِيرَ

أَعْمَلُ بِدُكَّانِ عطار. أَتَحَمَّلُ الأَحْمَالَ وَيَخْتَنِقُ صَدْرِي بِالغُبَارِ

وَآخِّرَ اللَّيْلَ أَنَامُ فِي رَكْنٍ مِنْ الدُّكَّانِ فَلَمْ أَكُنْ أَمْلُكَ الدار

وَكَانَت تأْتِينَا اِمْرَأَة تَأْخُذُ لِوَلَدِهَا دَوَاءًا

حَتَّى أَتَتْنَا ذَات يَوْمٍ وَقْدٍ أَضْنَاهَا البُكَاءُ

اِسْتَقْبَلَهَا صَاحِبُ الدُّكَّانِ. وَقَدْ كَانَ خَلُوقَا إِنْسَانا معطاء

وَعَرَفَ أَنَّ وَالِدَهَا زَادَ عَلَيْهِ الدَّاءَ

وَلَمْ يَعُدْ يُجْدِي الدَّوَاءُ

وَسَأَلْت عَنْ وَسِيلَة لِتَخْفِيفِ الأَلَمِ أَوْ الشِّفَاءِ

فَأَعْطاهَا شيئا قَلِيلا وَقَالَ تَوَكُّلَيْ عَلَى اللهِ

وَقَالَ لَا أَظُنُ أَنَّ وَالِدَهَا سَيَأْتِي عَلَيْهِ المَسَاءَ

وَفِي الصُّبْحِ الجَدِيد أَتَتْنَا دامعة العَيْن تَسْكُنُهَا الأَحْزَانُ
وَطَلَبْت مِنْ صَاحِبِ الدُّكَّانِ المُسَاعِدَةِ فِي دَفْنِهِ فَقَدْ رَحَلَ إِلَى دَارِ الأَمَانِ

وَعَرَفْت أَنَّهُ كَانَ عَامَلا عِنْدَهُ وَقَدْ مَرِضَ

وَلَيْسَ لَهُ قَرِيبا أَوْ وَلِدا.

إِلَا اِبْنَتُهِ وَقَدْ كَانَ اِسْمُهَا وِدَاد

وَبَعْد أَيَّامٍ أَتانى صَاحَب الدُّكَّان

قَالَ أَنْتَ بَيْنَ البَشَرِ وَحِيدا لَا أَنِيس وَلَا إِنْسَانَ

فَلِمَاذَا لَا تَتَزَوَّج مِنْ وِدَادَ

قَلَت العُمَر يَمُرّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْنَا مُرُور السَّحَابِ

وَأَنَا فقير كُلّ مَا أَمْلِكُهُ ذَلكَ البَدَنُ المَخْلُوقُ مِنْ تُرَابٍ
قَالَ هِيَ تَمْلِكُ بِي صَغِير

وَقَدْ قَارَبْتُ الأَرْبَعِينَ

وَأَنْتِ شَارَفْت عَلَى الخَمْسِينَ

فَلِتَعِيشَا سَوِيًّا. سَأَلْت هَلْ تَقْبَل هِيَ بِي؟

قال دَعَّ هذاَ الأمر لي

قَدْ كَانَ وَبنيت بِهَا وَقَدْ بَرِحْت بِهَا الأَحْزَانَ

فَوَعَدْتُهَا أَنْ أَكُونَ لَهَا صنوان

تَزَوُّجِنَا وَقَدْ حَلَا لِنَّا الزَّمَانُ. مَرٌّ عَام تَتْبَعُهُ أَيَّامٌ

وَأُصْبِحْ لِي صُبِّيهُ كَحْوَرِ الجَنَانِ

وَبَعْدَ عَامَيْنِ قَالَتْ يَا زَوْجِي سَيَأْتِيكَ طِفْلٌ جَدِيدٌ

حَمَّدْتُ اللهَ كَمْ أَنَا رَجُلٌ سَعِيد

حَتَّى كَانَ مَا كَانَ. فَبِلَادُنَا لَهَا حَاكِمٌ يعْشَقُ المَال

وَيصْمِتُ عَلَى البَاطِلِ وَلَا يَهْتَم بالرعية أَوْ سُوء الأَحْوَالِ
وَكَانَ خَلْف بَيْتِنَا الصَّغِير أَرْض اِشْتَرَاهَا أَحَدُ الأَعْيَان

وَشَيَّدَ قَصْرا وَيُحِيطُ بِهِ أَكْبَر بُسْتَانٍ

وَنَظَرَ لِدَارِنَا وَقَالَ إنهَا قَبِيحَةٌ تَقْشَعِر مِنْهَا الأَبْدَانُ

لاَبُدَّ أَنْ تَجْتَثَّ مِنْ المَكَانِ

وَأَنَا الفَقِيرُ فَكَيْفَ أَعِيشُ بِين الغيلان
فطلاق على امرأة شمطاء تصنع الأعاجيب ولاتملك دينا ولا
يمنعها حياء فصورت لى البيت كأنه حفرة من جحيم
وأصوات تعوى فى الليل كأنما البيت غابة يسكنها ذئاب
وكانت تلك طريقتة من يلومه فلا عقاب ولا حساب

التجأتُ إِلَى القَاضِي

هَمْس فِي أذْنِي أَحَدُهُمْ أُهْدِيهُ هَدْيُة

أه يَا بَشَرٌ وَهَلْ أَمْلِكُ أَنَا الفَقِير حَقِّ عَطِيَّةَ؟

ووقِعْت الوَاقِعَةُ. وَكَانَ حُكْمُ القَاضِي عَلَى آمَالِي قَاضِي
وَجَمَعَتْ مَالِيِ فِي الدَّارِ
وقررت الرحيل ، من سوء الأعمال ، الفرار

قَالَتْ زَوْجَتي هَيَّا نَشُدّ الرُّحَّالَ

فَتِلْكَ الأَرْض هِيَ عَلَى عَزِيزَة

وَلَكِنَّ لِلبَقَاءِ عِنْدَ البَشَر غَرِيزَة

وَكَرِهْتُ عَجْزِي مَا يَصْنَعُونَ

جَمَّعَت كُلٌّ مَا املَكَ مَنْ مَالِ

وَهُوَ لَا يَكْفِي إلَا نَاقِه وَاحِدَة

وَتِلْكَ بِدَايَةٌ غَيْر وَاعِدَة

فَذَهَبْتُ إلَى شَيْخِ القَوَافِلِ

وَسَأَلْتُهُ العَمَلَ وَقَصَصْتُ قِصَّتَي

فَأَنْتَظِر حَتَّى اِنْتَهَتْ حِكَايَتُي

وَقَالَ بَعْد أَيَّامٍ سَنَشُدُّ الرُّحَّال

فَأَحْضَر أَهْلُكَ هُنَا وَشدُّ لِهُمْ الخِيَامَ وَاُحْرُسْ البَضَائِعَ وَالأنْعَامَ

وَاِصْطَحَبَت زَوْجَتي وَتَوَكُّلِنَا عَلَى مَنْ بِيَدِهِ صَلَاحَ الحَالِ
وَدَعَوْتُ رُبَى أُقم الحَالَ بَعْدَ أَنْ مَالِ

وَكَانَتْ زَوْجَتِي تُوشِكُ عَلَى الإِنْجَابِ. فَدَعَوْتُ أَنْ يَرْزُقَنَا بِأَرْضٍ صَالِحَةٌ وَيُبْعِدُ عَنَّا سُوء العَاقِبَةُ وَالسُّؤال

وَكُنْت ذَات قُوَّةٍ وَبَسْطُة فِي الطُّولِ بَيْنَ الرِّجَالِ

فَلَمْ أُتْعِبْ بِرَغْمٍ سنِّيٍّ وَكَانَتْ لَا تُرْهِقي الأَحْمَالَ

وَأَصْبَحْتُ لِسَيِّدِ القَوَافِلِ قَرِيبِا

وَأَتَأَنى ذَات يَوْم وَقَالَ. هَلْ مِنْ أَرْضٍ لَكَ فِيهَا صاحب أو قرِيب؟

قُلْتُ بَعْدَ أَرْضِي لَا فَرْقَ فَقَدْ أَصْبَحْت غَرِيبا

قَال لِي مَكَان لَا اِسْمَ لَهُ وَلَا عُنْوَانَ

اِذَا أَرَدْتِ أن يكون لَكَ دُونَ البَشَرِ مَكَان

وَعِدَّتُ إِلَى زَوْجَتِي وَرُحْتُ أَقُصُّ عَلَيْهَا مَا كَانَ

قَالَتْ رَضِيَت بِمَا تَرُضى بِهِ. فَلَا حَيَاة إلَا مَعَكَ فَقَدْ طفح الكيل وثَقَّلَ المِيزَان

وَقَدْ كَانَ

اِتَّفَقْنَا وَبَعْد وَقْتٍ لَا أَعْرِفُ أطويلا كَانَ أَمْ قَصيرا

أَتَانى وَقَالَ أُعِدُّ راحلتك سَنخْرِجُ عندَ انتصاف اللَّيْل وَتَحَرَّكَتْ القَوَافِلُ وبقينا وَقَالَ لهُمْ إِنَّ زَوْجَتَي جاءها المَخَاض وأنه شىء يأتى فجأه وبلا معاد

وَأَنْطَلِقت القَافِلَةُ وانتظرنا وَقَدْ اِكْتَمَلَ القَمَر

وَتَحَرَّكْنَا بِالنُّوقِ وَالخَيْلِ. وَرُحْنَا نقَطِّعُ البيداء

جَاءَ الصَّبَاحُ وَيتْبَعُهُ المَسَاءُ

وَدَخَلْنَا الدَّرْبَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا إِنْسَان

وصلنا هاهنا وكَانَتْ جِنة لِنَّا فِي الأَرْضِ بَعْدَ مَا كَانَ

وَأَصْبَحَ يَأْتِينَا ثَلَاث مَرَّاتٍ بِالعَامِ

وَكُلّ مَرِّهِ يَبْقَى إِمَّا شَهْرا أَوْ أَيَّاما

وَقَدْ زَادَ عَدَد السُّكَّانِ حَتَّى أَصْبَحْنَا اثْنتين وَعِشْرِينَ أُسْرَة مِمَنْ فَرْوا مِنْ غَدْرِ الإِنْسَان؟

وها نْحَنِ نَعِيشُ كَمَا يَنْبَغِي بِلَا ضَغَائِنَ أو آلام

رَاضَينَ بِمَا تَيَسَّرَ لِنَّا مَنْ خَيْر الأَرْض وَبَعدَنَّا عَنْ شَرِّ الأنام وَقَدْ صَنَعْنَا حياة وَتَعَلَّمْنَا وَعَلِمْنَا آبَاؤنَا هُنَا أنقى أيام

تَسَاءلَتْ أَمْ الغِلْمَان وَمَا قِصَّةُ الوَاحَةِ وَكَيْفَ أَكْتَشفُهَا؟!

قَالَ تِلْكَ قَصُّة سَيَقُصّهَا عَلَيْكُمْ الشَّيْخُ سَعْدُون

وَرَاحِتْ تَتَابُعَ الأَيَّام كَأنهَا رَبِيعُ مُحَمِّلٌ بالأنسام قَدْ اِنْتَقَلْنَا إلي أَرْض السَّكِينَةِ وَالسَّلَام

وَرَاح حَاتِمُ يَتَحَرَّك وَيَعْمَل وَلَا يَتَكَلَّم أَوْ يَتَفَاعَل مَعَنَّا

حَتَّى مَرِّ ثَلَاثة أَسَابِيعَ وَقَدْ كَانَ بِهَا أَرْوَع نَخِيلٍ

وَكَانَ يُعَانِقُ السَّمَاءَ بِشَكْلٍ جَمِيلٍ

وَكَأَنَ أَمِير يَخْرُجُ سَرِيعًا مِنْ طَوْرِ الصبا لِطَوْرِ الشَّبَابِ

فَقَدْ أَتَمَّ أَرْبَعة عَشْرَة عَاما

وَتَعَلَّمَ مِنْهُمْ تَسَلُّق النَّخِيلِ وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ حَدَثُ أَمَرّ جَلِل

إِذَن بَعْدَ أَنْ صَعِدَ إِلَى قُمْتـهَا وَرَاح يجَمِّعُ رُطَبـهَا

وَيفْخَرُ لِمَا جَنَاهُ مَنْ أَكَلَـهَا

كَادَ أَنْ يَسْقُطَ وَقَدْ كَانُوا يَضَعُونَ حَوْلَ وَسَطِهِ حِزَاما

وَتجَمِّع الخَلْق وَزَادَ الـهَرْج

تحَرِّكُ حَاتِمُ يصَرِّخُ بِاسْمِ أَمِير كَانَ فِي مُصِيبَتِنَا الفَرَجِ
وَتسَابِق الرِّجَال وَصَعدَ أَحَدُهُمْ وَأَنْزَلَهُ

فَضَمَّةُ حَاتِمَ إِلَيْه وَاِسْتَكَانْ أَمِيرُ بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ

وَأَوَّلُ الغيث قَطَرة وَيَنْـهَمِرُ

وَاِنْتَظَرْت حَتَّى المَسَاء وَقَدْ انْتَهِي القَوْم مِنْ العَشَاءِ

اِنْتَقَلَتْ تجَالِسُ زَوْجهَا. وَتسَامِرُ نِصْفَهَا

قَالَتْ يَا زَوْجِي إِنْ أَجَبْت فَقَدْ فَرَجْت عَنْ قَلْبَيْ اِلَهِم

وَأَنَّ صِمَّتَ فَاعْلَم أَنَّ الأَحْزَانَ كَمَا الأَفْرَاح تَتَشَارَك

فَتَخْرُج إِلَى العَلَنِ وَعَلَى صَخْرَةِ الصّحْبَةِ تَتَـهَالَك

فَشَارِكْنِي ذَاتَكَ تَنَعّمِ بِالسَّلَامِ وَتصَفِّي حَيَاتَكِ

مَدُّ يَدِه

اِحْتَضَنَّ يَدَهَا وَلَمْ يجب

كَأنه غريق يَبْحَثُ عَنْ بِرٍّ

أَوْ مَرِيض يَحْتَاجُ طَبِيب

فابتسمت وَأَنْفَاسُهُ العَطِرَةُ تَنَسَّمَتْ.

وَرَفَّعَتْ رَأْسَهَا لِلسَّمَاءِ وَقَدْ اِقْبَل الصَّبِيَّةَ يَتَضَاحَكُونَ

وَرَاح كُلّ مِنْهُمْ يُقَبِّلُ يَدَ أَبِيهِ ثُمَّ عَادُوا إِلَى مَرَحِهِمْ يلْهُون وَرَاقَبَهُمْ وَهُمْ يَكْبُرُونَ وَيَتَعَلَّمُونَ رَمْيَ السِّهَامِ وَاللَّعِبَ بالحسام.

بَدَأَ حَاتِمُ يَعُود لِلحَيَاةِ فَسُبْحَانَهُ يُحَيِّ العِظَامَ وَهِيَ رَمِيم

وَقَدْ جَلَسَا يَتَحَدَّثَانِ

قَالَتْ يَا زَوْجِي هَلْ أَصَابَكَ الجَنَان

قَالَ حِينَ اِشْتَدَّ عَلَى الظُّلْمِ أَصَابَنِي هذيان

فَلَمْ أَعْرِف أأسير لِلخَلْفِ أَمْ لِلأَمَامِ

أَعِي مَا تَقُول. وَلَكِنَّ حِينَ يَشْتَدّ المَوْجُ يَنْحَصِر

وَعَلَى شاطىء الوَاقِعُ يَنْكَسِر

وَمَرَّتْ الأَيَّامُ بِسَلَام

وَذَات مَسَاء وَهُمْ يَتَسَامَرُونَ

قَالَ شَيْخُهُمْ

اِعْلَمُوا أَنْ غَدًا أوبعد غَد يَأْتِينَا الشَّيْخُ سَعْدُون

اِسْتَيْقَظُوا يَوْمًا عَلَى جَلْبِهِ

وَكَانَ الشَّيْخُ سَعْدُونَ

اِسْتَقْبَلُوهُ وَاِسْتَقْبَلَهُمْ

وَسَأَلَ عَنْ حَاتِمَ فَأُتَاهُ بِاسْمِ

فاحتضنه وَقَال مَرحَبا بُنِّي قَدْ بَرَّأْتَ مِنْ الجُنُونِ

وَاللهِ يَا شَيْخُنَا الظُّلْمِ وَالغَدْرُ أَشَدُّ وَطِأة عَلَى نَفْسِ الإِنْسَانِ
وَمرْ النَّهَار مَا بَيْنَ مَرَحَ وَسمْر

وَاِجْتَمَعُوا يَأْكُلُونَ وَتَجَمَّعُوا لِجَلَسَاتِ السَّهَرِ

اِتَّجَهْت لِزَوْجِهَا تستئذنه أَنْ تَسْأَلَ الشَّيْخ عَنْ حَالِ البِلَادِ

وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الأَرْبَعِ وَمَا فعلُهِ الظُّلْم بِالعُبَّادِ

قَالَ الشَّيْخُ سَعْدُونَ وَحَدُّوا الديان

كَمَا تَعْلَمُونَ أُسَافِرُ مَعَ قَافِلَةٌ وَأَتْرُكُ أُخْرَى

وَتِلْكَ المَرَّة كُنْتِ قَدْ قَرَّرْتِ البَقَاءَ

وَرُحْت أَتَحَرَّى الأَمْر وَ أَسَال فِي الخَفَاءِ

مَرَّ يَوْمَانِ وَسَمِعْتُ النَّاسَ يَتَهَامَسُونَ

وَعَنْ القَاضِي بشماته يَحْكُونَ. فَقَلَّتْ لَمَّا مِنْ قَاضِيكُمْ تسَخِّرُونَ

قَالُوا أَنَّ القَاضِيَ قَدْ اِشْتَرَى بيت حَاتِم بِطَرِيقَة الاِحْتِيَالِ

وَأَنَّ أَمْ الغِلْمَان أَخَذْت مِنْهُ مَالِ

وَسَافَرْت وَتَرَكتهُ فِي حَالَة خَبَالٍ

إِذَا خدعَتَهُ اِمْرَأَة

وَالأَهَمُّ أَنَّ أَمْ الغِلْمَان قَدْ وَهَبْت البَيْت لِلسُّلْطَانِ لِيُحَوِّلَهُ بيمارستان

وَحِينَ اشتكى لَهُ القَاضِي

كَانَ حُكْمُ السُّلْطَانِ عَلَيْهِ قَاضِيا

وَهُوَ يَبْحَثُ عَنْهَا الآنَ

وَقَدْ وَصَلَ إِلَى جَارِهُمْ، حَسَّان

وَعَرَفَ أَنَّهُمْ سَافَرُوا وَلَكِنَّ لَا يَعْرِفُ المَكَانَ

وَضَغَطَ عَلَيْهِ وَهَدَّدَهُ فَقَالَ أَنَّكُمْ سَافَرْتُمْ إِلَى أَرْضِ كنعان وَسَأَلْتَهِمُ مَاذَا أَيْضًا

قَالُوا صَبْرا هُنَاكَ مَا هُوَ أَعْجَبَ

وراحوا على كَبِير التُّجَّارِ يَتَنَدَّرُونَ

هَذَا آخَر عِشْقِهِ لِلنِّسَاءِ وَالمُجُونِ

وَتَعَجَّبْت وَمَا قِصَّةُ كَبِيرِ التُّجَّارِ

كَمَا خدْعَت القَاضِيَ خدعَتهُ

وَبِالبَيْتِ الكَبِير عَشَّمْتُهُ

فَأَعْطِاهَا المَالَ وَقَدْ ظَنَّ أَنَّـهَا سهلَتْ المَنَال

وهاهو ذا يَجْنِي حَصَادَ زَرْعِهِ

أَمَّا أَخوهِ فَقَدْ بَاعَتْهُ البَيْتَ وَأَخَذَتْ المَالَ وَبِصَكِّ دَيْنِ خدْعَتِهِ
والمرابي صَنَعْت بِهِ مَا صَنَعْت بِأَخِيهِ

فَأَعْطَتْهُ صَكَّ دِيْن وَاشْتَكَوْا لِلسُّلْطَانِ

فَقَالَ عَلَى نَدَمِ تَعَوَّد فَلِتَقْتَصُّوا مِنْهَا وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَـهَا بَيَان

أَمَّا البَيْتُ فَقَدْ صَارَ بيمارستان

وَقَدْ رَصَدَ القَاضِي وَكَبِير التُّجَّار

عَلَى رَأْسك أَلْف دِينَارٍ

أَمَّا أَخوكَ والمرابي يَجْلِسُونَ وَيَنْتَظِرُونَ

فَأَنْتَ تَعْرِف أَرْوَاحَهُمْ تَخَرُّجٍ وَأَمْوَالهمْ لَا يُنْفِقُونَ

وَ رَاح النَّاسَ يَحْكُونَ وَبِقِصَّتِكَ يَتَغَنَّوْنَ

اِبْتَسَمَ حَاتِمُ وَقَالَ أَنْتَ يَا زَوْجَتَي عَقَل مُتَفَرِّدٌ وَ قَلَّب بالمحبة مَسَّكُون

قَالَتْ يَا زَوْجِي أَنَّ مَسَّكُمْ سُوء لِاتَغفَلَ مِنِّي العُيُون

اِلْتَفَتَتْ أَمْ الغِلْمَان وَقَالَتْ يَا شَيْخِنَا مَا قِصَّةُ وَاحَتِكَ هَلَا أَخْبَرَتْنَا.

قَالَ تَعْرِفُونَ أَنَّ الحَيَاةَ لَا يَأْمَنَّ جَانِبَهَا إِلَا غَافِل مَأفُوْن

وَأَنَّ النَّتَائِجَ نِتَاجٌ عَنْ أَفْعَالِنَا الَّتِي نَحْنُ لَهَا صَانِعُونَ

وَأَنْ لَمَّنَا الزَّمَان فَأَنَّنَا نَكُون كالنعام نَدْفِنُ روؤسنا فِي الرِّمَالِ ننسى وَنَشْتَكِي سُوء الدَّهْرُ وَتَرَدِّي الأَحْوَالِ

وَهَكَذَا كُنْتُ فَقَدْ كُنْت ابِنَا لتاجر كَبِير

وَقَدْ عَلِّمْنِي وَأَدِّبْنِي فَعَشِقَتْ التَّرْحَالَ وَرَاحَتْ نَفْسِي تَهْفُو لِلتَّغَيُّرِ

وَمَرَّت أَيَّامٌ وَشُهُورٌ وَسَنَوَاتٌ وَوَالِدِي يَرْفُضُ أَنْ يسَافِرَ مَعَ الرِّجَالِ

وَرُحْتُ أَرْجُوهُ فَقَالَ أَنْتَ وَحَيِّدِي وَاِخْشَيْ عَلَيْكَ مِنْ التَّرْحَالِ
فَالوَضْعُ متردي وَمِيزَانُ العَدْلِ قد مَالِ

وَقَدْ قَلَت الأَرْزَاق وَكَثَّر نَـهْبَ القَوَافِلِ

يَا أَبِي قَدْ عَلَّمْتَنِي فَأَصْبَحْتَ بَارِعا فِي النُّزَّالِ وَأَفْضَلَ خَيَال

وَبَعْدَ طُولِ الرَّجَاءِ وَافقِ فَشَدَدْتُ الرِّحَالَ

وَرُحْت وَأُرَكِّبُ البَحَّارَ وَأَطُوفُ مَعَ القَوَافِلِ البِلَاد

وَأُدَرِّسُ طَبَائِعَ البَشَرِ وَأُرَاقِبُ أَحْوَالَ العُبَّادِ

وَبَعْدَ عَوْدَتِي مِنْ أَحَدِ الرِّحْلَاتِ قَالَ وَالِدِي يَابَنِي العُمْرُ قَصِّير
وَكُلِّ مَا أَرْجُوهُ أنْ تَتَزَوَّج وَأَرَى أَحْفَادِي قَبْلَ أَنْ أُسَافِرَ السَّفَرَ
الأَخِير

قُلْتُ يَا أَبِي اِخْتَرْ لِي مَنْ النِّسَاء مَا تَشَاء

زَوِّجْنِي بِزَوْجِهِ خلاوقه حَسْنَاء

ذَات مَالٍ وَعَقْلٍ رَاجِح وَبِهَاء

وَقَدْ أَنْجَبَتْ لِي صَبِّيا وَفَتَاة

وَقَدْ حَمِدَت الله عَلَى مَا أَعْطَاه

وَقَالَتْ لِي زَوْجَتِي كَفَاك تَرْحَال

فَقَدْ رَأَيْتُ حُلْمَ شُغْلٍ مِنِّي البَال

فَاِسْتَهَنْتُ بِمَا قَالَتْ وَقَدْ تَجَاهَلَت حَدْسُهَا

وَبِرَغْمِ حُبِّي لَهَا لَمْ أَسْتَجِبْ لِرَجَائِهَا

فَقَدْ أَصْبَحَ السَّفَرُ فِي دَمِي

وَجمَع المَخْطُوطَات وَالكُتُب الغَرِيبَةَ كُل هَمِّي

وَتِلْكَ الرِّحْلَةُ كَانَتْ لَهَا مَا أَهدُّ وَعَلَامَات

فَقَدْ نَعَقَ عَلِي رَؤُسَنَا ذَاكَ الأُسُود المَشْئُوم

وَرَاح يَصْحَبُنَا عَلَى الطَّرِيقِ وَتَرْكُنَا فَحَلَّ مَحَلَّهُ طَائِر أَلْبُومٍ
فارتجف الرِّجَالُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ فلنعود

قُلْتُ مَالُكُمْ إِنْ المُقَدِّر مَخْطُوطٌ وَمَوْعُودٌ

وَبَعْدَ رَحِيلِ شَهْرٍ هَبَّتْ عَلَيْنَا عَاصِفَةً هَوْجَاءَ

فَاتَخِذْنَا مِنْ أَحَدِ الهِضَابِ سَاتِرَا قَدْ تَرَابطِنَا بِالحِبَالِ حَتَّى لَا
تَحْمِلُنَا إِلَى عُمْقِ الصَّحْرَاءِ

وَلَمْ تَـهْدَأْ إِلَا بَعْد انتصاف اللَّيْل فَجَلَسْنَا نَسْتَرِيحُ حَتَّى انبلج الصَّبَاح

وَكَانَ مَعَهُ أَسْوَأَ خَبَرٍ إِذِ عَلَى البُعْدِ طَيْفٌ لَاحَ

إنـهم قطاع الطريق

وَكَانَ بَيْنَنَّا نُزَّالٌ وَتَسَاقَطَ مِنَى الرُّجَّال وَدِمَاءهِمْ عَلَى الرِّمَالِ تَرَاقٍ

وَأَصَبْتُ بِطَعْنِة فَسَقَطُ فِي بِحَارِ الظُّلْمَةِ غريق

سَبُّوا الأَطْفَال النِّسَاءَ وَلَمْ يَتْرُكُونَا إلا وَأَصْبَحْنَا أَشْلَاءَ
وَاحَسَرَتَاه بَعْدَ أَنْ كَانُوا أَحْرَارا أَصَبَّحُوا أَرِقَّاء

وَلا أَعْرِفُ كَمْ مَر عَلَي حَتَّى قَرَصَنِي بَرَدُ الصَّحْرَاءِ

وَاِسْتَفَقْتُ وَكَأن يَدٌ تَدْفَعنِي أَوْ هَاتِفًا يَرْفَعُ صَوْتُهُ بِالنِّدَاءِ
وَنَظَرْتُ لَمْ أَجِدْ أَلَا أَجْسَادُ قَدْ أَلْتَهِمُهَا المَوْتُ.

عَلَى وَحْدَتِي لَا عَلَى ضَيَاعِ تِجَارَتِي بَكَيْت

وَقَدْ عسعس اللَّيْلُ فَغُصْتُ فِي بُحُورِهِ وَقَدْ تَرَاقَصْت أَمَامَي الخيالات

وَرَفَعْتُ بَدَنِي الضَّعِيفَ وَقَدْ حَاصَرْتَنِي المَخَاوِف وَالأَوْهَام فَاسْتَعَذْتُ بِاللهِ رُحْتُ أَتَحَسَّسُ عَلَى أَجِد شَيئا يخَفِّفُ الأَلَم فَوَجَدْتُ قُرْبَهُ بِهَا مَاءٍ فَغَسَلْتُ جُرْحِي وَرُحْت.

أَدْعُو ربَّ الأنام

وَأُلْتفَّتْ ذَات اليَمِينِ وَذَات اليَسَار

وَفَجَّأة أَبْصَرْتُ نُورَ مَرْسُوم عَلَى الرِّمَالِ بِاقْتِدَارٍ

كَأَنَّهُ رُمْحٌ هَائِلٌ جَبَّارٌ

يُشِيرُ إِلَى الجِبَالِ وَلَا يُحَيِّد

فَتَبَعَته مَسْلُوبٌ الإرادة وقَدْ أَمْسَيْتُ فِي الِكُون وَحِيدا

وَشَعَرْتُ كأن يَدٌ مَسَّحَتْ عَلَى جُرْحِي وَأَمْسَكَتْنِي فَكَانَتْ لِي معَين

وَ نَظَرْتُ لِلسَّمَاءِ وَكَانَ القَمَرُ يَتَوَسَّطُهَا وَنَجَّم الشِّعْري يُجَاوِرهُ مِنْ اليَمِينِ

سُبْحَانَهُ مِنْ جَعْلِ النُّجُومِ دَلِيلا فِي اللَّيْلِ للتائـهين

فَحَسَبْتُ النَّجْمَ وَقَرَّرْتُ أَنْ أَتْبع السَّهْمَ لِحِينٍ

وَظَهْر أَمَامِي دَرْبٍ مِنْ العَدَمِ

وَأُصْبِحْ لِلَعِينِ وَاضِحا كَأَنَّهُ رَسْمٌ بِقَلَمٍ

وَبَيْنَ الجَبَلَيْنِ خَطٌّ يَلْتَوِي صُعُودًا وَهُبُوطا

وَلا أَعْرِفُ حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا بِرَغْمِ جُرْحِي الغَائِرِ كَيْفَ تَمَكَّنْتُ مِنْ المَسِيرِ

وَالغَرِيبُ أَنَّ الدَّرْب لَمْ يَكُنْ عَسِير

وَرُحْت أُسَيِّرُ تارة وَأَسْتَرِيحُ أُخْرَى

حَتَّى تَنَفُّسِ الصُّبْح فَتَنَفَّسْتُ مَعَهُ الصُّعَدَاءَ

وَعَلَى مَرْمَى البَصَرِ كَانَتْ وَاحَةُ غِنَاءٍ

فَتَحَيَّرْت هَلْ هُنَاكَ سَرَاب أَخْضَر

فَلَمْ يَنْتَصِفْ النَّهَار وَهَلْ يُزْهِرُ الرَّمْلُ الأَصْفَرُ؟

وَتَهَالَكْت وَلَكِنَّ نَفْسِي تَمَلَّكْتُ

وَكَأَنَ ماءها يُشِع نُور كَأَنَّهُ الدُّر المَنْثُور

وَصَلَت وَارْتُمِيَتْ فِي أَحْضَانِهِ

فارتويت ثُمَّ غَفَوْتُ حَتَّى المَسَاءِ

وَاِسْتَفَقْتُ عَلَى يَدٍ نَاعِمَةٌ تَلْمسُ وَجْهِي وَتُمَسِّدُ جُرْحِي
وَانْتَفِض هَلْ هُنَاكَ كَائِنٌ بِهَذَا المَكَان

وَتَلَفَّتَّ أَلَّا يُوجِدَ هُنَا صُحْبَةً وَسُكَّان

وَلَمْ أَجِدْ إِلَا طُيُورا غريدة

وَبَهَائِما وَحِيدَةُ شَرِيدِة

وَسَمِعْتُ صَوْتا يَقُولُ مَنْ أَنْتَ يَا إِنْسَان

وَمَاذَا أَتَى بِكَ لِتِلْكَ الوَاحَةِ ذَات الأفنان

فانتفضت وَاِسْتَعَذْتُ مِنْ الشَّيْطَانِ

وَقُلْتُ مَنْ أَنْتَ ياهذا وَطَلَبت الأُمَّانِ بِحَقِّ الرَّحْمَنِ

قَالَ الصَّوْتُ كَيْفَ اِلِي هُنَا وَصْلَت

وَعَلَى طَرِيقِ وَاحَتِنَا حَصَلْت

فَهُوَ مَرْصُودٌ مِنْ أَعْوَامٍ وَأَعْوَامٍ

لَا يَظْهَرُ إِلَا لِقَلِيلٍ مِنْ الأنام

وَلَيسَ لِلبَشَرِ عَلَيْهَا سُلْطَان

قُلْتُ لَقَدْ أَرْشَدَنِي اللّهُ ياعمار المَكَان

وَصَمْت الصَّوْتَ بَعْضَ الوَقْتِ وَقَال نعم نَعْرِفُ ياسعدون الآنَ

وَنَعْرِفُ أَيْضًا مَا أَصَابَكَ وَمَا كَانَ

فَاِسْتَكِنْ وَلَا تَخافُّ فَقَدْ أَحْسَنْتَ الكَلَامَ وَالبَيَان

وَلَكَ عَلِّيَنَا أنْ تَعُود إِلَى بَلَدِك بِسَلَامٍ

وَلَكِنَّ إِذَا اِسْتَطَعْت أَنْ تحْيَا هُنَا شَهْرا بِالتَّمَامِ وَالكَمَالِ
فَاِنْتَفَضْت خَائِفا وَسَأَلْتُ العَيْشَ هُنَا بِلَا سَبَبِ هَذَا مُحَال

قَالَ الصَّوْتُ لاحديث بَيْنَنَّا وَهَذَا أَمْرٌ وَلَا يَحْتَاجُ جِدَال
فَرَجَوْتُهُمْ بِصَوْتٍ مَهْزُومٍ

أَلَا تدَلُّونِي عَلَى الدَّرْبِ فَلَا سَبَبَ أنْ أَظَلُّ هُنَا شَهْرا؟

لَا قَالَهَا الصَّوْت بِحَزْمٍ سَتَبْقَى حَتَّى تُبَرَّأُ الجِرَاح وَهَذَا آخَر قَرَارٍ. فَأَجْلَسَ وَتَنَعَّمَ بِنًسِيمِ المَسَاءِ وَنُورِ الصَّبَاحِ

وَاِتَّخَذَهَا لَكَ مَقَام وَإِنْ تخطِّيَتْ الشَّهْرَ فَكُلُّ مَا تَطَلَّبَهُ مجاب بِلَا كَلَامٍ

وَ تَمْلكنِي الخَوْفُ وَعَصَفَتْ بِي الأَوْهَام

رَجاءً خَبِّرْنِي مَاذَا هُنَاكَ فَكَلَّامَكَ قَدْ أَرْهَقَ مِنَى التَّفْكِيرَ

وَلَكِنَّ لَا مُجِيبٌ وَقَدْ كَانَ الظَّاهِر لِلَعِينِ هُوَ النَّذْرُ اليسير
كُهُوفا كَبِيرَةً أَرْضِهَا وَثِيرَةً

وَنَبِعْ مَاءٍ كَأَنَّهُ سَلْسَبيل وَطُيُور بِكُلِّ الأَلْوَانِ

وَعُرُوق تَخْتَرِقُ الجَبَلَ زَبَرْجَدٌ وَياقوتٌ بِحُمْرَتِهِ كَأَنَّهُ المَرْجَان
فَأَقْسَمْتُ أَلَّا أَمْسِ مِنْهَا شِيئا إلا بَعْدَ اِسْتِئْذَانٍ

فَالحَيَاةُ عَطِيَّةٌ لِمَنْ اِلْتَقَى بِالمَوْتِ

حَتَّى كَانَ مَا كَانَ وَعِشْتُ هُنَا أُقْسِي وَأَرْوَع المُغَامَرَاتِ
وَسَأَكْمُلُ لِكُمْ فِي حَدِيثٍ آتٍ

وَمرْ الشَّهْر بحُلُّوهُ وَمرُّهِ

وَحِينَ أزف المِيعَادُ قَالَ الصَّوْتُ طننتك مَعَ الأَمْوَاتِ

فَالتَفُتْت وَاِسْتَعَذْتُ وَأَلْقَيْتُ التَّحِيَّةَ

قَالَ الصَّوْتُ كَيْفَ اِسْتَطَعْتَ البَقَاءَ وَلَمْ تَفَارَقَ عَالِمِ الأَحْيَاءِ
قُلْتُ أَنَا أَشَاءُ. وأَنْتِ تَشَاءُ وَاللّٰهِ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ

قَالَ أَصَبْتُ أَطْلُب تُجَاب. قُلْت لِي طَلَب وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ مجاب

مَا هُوَ

قِلَّتُ هُنَاكَ مَنْ اِسْتَنْزَفَ أَرْوَاحَهِمْ العَذَابِ

وَقَدْ رَأَيْتُ الكَثِيرَ وَأَنَا أَلْفُ البِلَادِ وَأرَى أَحْوَال العُبَّادِ

فَلِمَاذَا لَا نَجْعَلُهَا مَقرا وَمُسْتَقَرًّا

يَحْتَضِنَّهُمْ مِنْ ظُلْمِ البَشَرِ

قَالَ الصَّوْتُ مِنْ يَضْمَنُ ألا يُحَوِّلُوهَا إِلَيَّ سقْر

فَأَجَبْتُهُمْ مِنْ تَعَرُّضٍ لِلظُّلْمِ لَا يَظْلِمُ وَلَا يَغْدِرُ مِنْ بِهِ غَدْر اِسْتَفْهَمَ مِنَى وَقَالَ أُجْبنِي ياسعدون

هَلْ تَضْمَنُ نُفُوس الخَلَائِقِ؟

وَهِيَ مُخْتَلِفَةٌ وَمخْفِيَةً كَمَا خَلْقُهَا الخَالِقُ

قُلْتُ لَا أَمْلِكُ أَيَّ ضَمَانٍ فَمَا أَنَا إِلَّا إِنْسَانٍ لَكِنْ اللّٰه مُسْتَعَان. قَالُوا إِذَن إعطنا عهدك الآنَ

قُلْتُ قَبْلَه لِي عِنْدَكُمْ طَلَبَانِ

الأَوَّلُ

أَنَّ تَخَفِّي عُرُوقِ الجَوَاهِرِ فَلَا يَرَاهَا إِنْسَانَ

وَإِنْ تُغَلِّقُ مَدَاخِلِ الأَرْضَ الآخرة فَلَا يَعْرِفُهَا كَائِنٌ مِنْ كَانَ
وَالثَّانِي

أنْ يَظَلُّ الطَّرِيق مَخْفِيٌّ لا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ إلا إِذَا أَرْشَدْتُهُ

وَبَعْدَ صَمْتٍ طَالَ وَظَنَنْتُهُمْ سَيَرْفُضُونَ

قَالَ الصَّوْتُ طَلَبكَ مجاب

هَلُمَّ فَقَدْ اِنْتَصَفَ اللَّيْلُ وَ جب عَلَيْكَ الذَّهَاب

وَتَحَرَّكْت مُسْرِعًا وَقَدْ تَشَوَّقْتُ لِلِقَاءِ أَهْلِي وَالإِيَابِ

وَتَوَقَّفْت قَائِلَ الطَّرِيقَ إِلَى الوَاحَةِ أَخَذَ مِنِّي شَهْرا وَعَشْرَة أَيَّامٍ. فَكَيْفَ أَعُودُ إِلَى بِلَادِي وَحِيد بِلَا ركائب وَبِسَلَامٍ

قَالَ عِنْدَ الخُرُوجِ سَتَجِدُ نَاقَةٌ فَرَكِبَهَا

وَأَعْلَمُ أَنَّكَ إِذَا نَزَلْت عَنْهَا فَلَنْ تَجِدْهَا وَلَنْ تَسْتَطِيعُ بَعْدَ ذَلِكَ رُكُوبَهَا

وَهِيَ سَتَقْطَعُ الطَّرِيقَ فِي أَيَّامٍ وَإِيَّاكَ إِنْ تَتْرُكُ رَسَنَهَا

وَإِذَا اِضْطَرَرْتُ لِلنُّزُولِ فَشَدهَا إِلَيْكَ بِحَبْلٍ شَدِيدٍ

وَلَا تُغْمِضُ عَيْنَكَ عَنْهَا لِحَظَّة وَلَا تُكِنَّ عَنْهَا بَعِيد

وَلِخَوْفِي رَبطَ نَفْسِي بِهَا وَقَدْ كَانَتْ الجِبَالُ تَمْرٌ مِنْ أَمَامِي مُرُورِ السَّحَابِ

وَأَصَابَنِي العَجَبُ وتمنبت أَلَا يَكُونُ أَضْغَاث أَحْلَامِ أَوْ سَرَابٌ فَرِحْتُ أُرَاقِبُ الطَّرِيق وَقَدْ مُرٌّ أَرْبَعَة لَيَالِي وَخَمْسٌ صباحات وَقَرَّرْتُ التَّوَقُّفَ وَالرَّاحَةَ فَقَدْ كَانَ زادي مَاء وَبِضْعُ لُقَيْمَاتٍ فَأَصَابَنِي الإِرْهَاقُ فأنختها وَلِسَاعِدَيْ رَبْطُهَا

وَجَلَسَتْ فَأَكَلَتْ مَا طَابَ لِي وَغَفَتْ عَيْنَي

وَمَا شَعَرْتُ إِلَا وَقَدْ فَكَّتْ رَسَنَهَا وَفَّرَتْ منَى

وَالمُقَدِّرُ لامهرب مِنْهُ وَحَسَبْتُ الطَّرِيقُ فَكَانَ أَمَامَي أُسْبُوعا أَوْ يُزَبِّدُ

وَكَانَ مَعَي مَاء قَلِيلٍ وَكسرَاتٌ خُبْزَ ولامزيد

فَقَرَّرْتُ أَنْ أَسِيرَ لَيْل وَأَسْتَرِيح بِالنَّهَارِ

حَتَّى لَا تُرْهِقُنِي الشَّمْسُ أَوْ أَلنهَارٌ

وَلَمْ يَمُرَّ يَوْمَانِ حَتَّى صَادَفْتَنِي قَافِلَةٌ

وَكَانَتْ إِلَى بِلَادِي قَافِلَةٌ

وَعِدَّتُ مَعَهَا وَقَدْ كُنْتُ سَعِيدا

وَلَمْ تَكْتَمِلُ فَرُحْتِي فَقَدْ مَات وَالِدِي حُزْنَا عَلَيَّ فِقْدَان اِبْنِهِ الوَحِيدِ

وَأُصِيبَتْ اِبْنَتي بَدَأَ غَرِيبا إِذَا أَصَابَهَا الهُزَالٌ

حَتَّى نَحْلًا عَوِّدْهَا وَأَصْبَحَتْ ذَات الإِثْنِيَّ عَشْر رَبِيعًا كَأنهَا خَيَال

وَقَالَ الأَطِبَّاءُ إنَّ شِفَاءهَا مَحَالَّ. فَقَرَّرْتُ أَنْ أَحْمِلهَا للواحة وَلَمْ تَتَكَلَّمْ زَوْجَتُي أو تسأل إِلَى أَيْنَ الذَّهَابَ

مَاتَتْ الصَّغِيرُة بَعْدَ أَيَّامِ وَمَا عَدَّتْ مِنْ الذَّهَابِ إلَا بالإياب حَامِلًا طِفْلَتَي يَسْكُنُنِي الأَلَمُ وَالعَذَابُ

وَقَبْلَ أَنْ يُمرَّ شَهْر لَحِقَتْهَا أُمُّهَا وَهَذَا كَانَ فَصَّلَ الخَطَّابَ وَأَصْبَحْتُ فِي أَرْضِ أَحَزَّانِي مَسْجُونٌ

وَقَدْ اِعْتَزَلْتُ البَشَرَ وَأَصْبَحْتُ حَائِرا مَا بَيْنَ الكَافِ والنون
وَكَانَ اِبْنِي مَعَي وَقَدْ تَحْمِل مِنِّي الصدود وَالصَّمْت وَالسُّكُون

وَبعْد فَتْرَةٍ قَالَ يَا أَبِي عَلَّمْتَنِي أَنَّ الأَعْمَالَ لَا نَمْلِكُهَا وَنَحْنُ مُسَيَّرُونَ لَا مُخَيَّرٌ نَ

فَلِتُسَافِرَ وَلِتَجُوبَ المَعْمُورَةَ

فَلِلسَفَرِ فوائد وَمِنَها جبرالقلوب المَكْسُورَةُ

وَسَاعِدْنِي أَنْ أَعُودَ لِلتَّرْحَالِ

وَكَانَ مَعَي وَرُحْنَا نَجوبُ البِلَادَ وَالسُّهُولَ وَالجِبَالَ

وَقَدْ قَصَصْتُ عَلَيْهِ قَصَّة أَلْوَاحَة

وَذَهَبْنَا إِلَيْهَا واعتزلنا فِيهَا فَتَرَة لِلاِسْتِشْفَاءِ وَالرَّاحَةِ

وَمِنْ يَوْمِهَا أَصْبَحْتُ سُوَّاحَا فِي بِلَادِ اللهِ

أَجْمَعُ الكُتُب وأراقب تَصَارِيف الحَيَاةِ

وَصَمْت الشَّيْخ سَعْدُونُ وَقَدْ رَاح الشَّبَابَ وَالشَّيْبَ يَلْتَفِتُون وَكَأَنَه فِي ذُهُولِ أمعقول هَذَا ؟! مَا تَقُولُ

إِنْ مِمَّا تَقُولُ وَاجْلُونَ

قَالَ الصِّغَارُ هَلْ هُم إيانا يُرَاقِبُونَ؟!

قَالَ أَحَدُهُمْ وَقَدْ كَانَ اِسْمُهِ السَّيِّدِ شِهَاب

وَ كَانَ رَجُلا قد تَخَطّى مَرْحَلَةَ الشَّبَابِ

لِي هُنَا خَمْسة عَشْرَة عَاما

وَقَدْ نَعِمْتُ بِين جنباتها بِالسَّلَامِ

اِعْلَمُوا أَنَّ تِلْكَ الأَرْض هِيَ أَرْض الوِئَامِ

قَالَتْ النِّسَاءُ كَيْفَ وَقَدْ سَمِعَت شَيْخِنَا

قَالَ السَّيِّد شِهَابَ

أو لسنا نَحْنُ وَهُمْ وَكُلٌ هَذَا مِنْ خَلْقِ الديان

فعلي مَاذَا أَي مَخْلُوق يَدَانِ

فَإِنْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ مِنْ طِينٍ فَهُوَ مِنْ نَارٍ

أُنْظُرُوا أوليس خَلْقا مُخْتَلِفا تِلْكَ الأَشْجَارِ

البَهَائِمُ وَالطُّيُورُ والأزهار

وَلَكِنَّهَا جَمِيعًا تَوَحُّدُ القَهار

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ إِنْ مِنْ البَشَرِ مِنْ هُمْ مَنْ اِلْجَانَ أَشَّر

كَثِيرٌ مِنَّا لَمْ يَحْكِ حِكَايَتَهُ أَوْ يَقُصُّ مَأْسَاتَهُ

فَاسْمَعُونِي لَمْ أَكُنْ رَجُلا فَقِيرا وَلَا تَاجرا كَبِيرا بَلْ كُنْتَ عَلَى جَزِيرَتَيْ أَمِيرَ

حَوْلَي وَالخَدَمُ وَالمَالُ كَانَ وَفِيرا

وَلِي زَوْجُهُ بَيْنَ النِّسَاءِ أَغْنَاهُمْ

وَلَكِنَّ جَمَالُهَا كَانَ أَدْنَاهِمْ

وَقَدْ رَزَقَنِي اللهُ صَبِيا وَصَبِيُّة

وَحَمِدْتُ اللهَ فَقَدْ كَانَ ذُا طلة بهية

وَذَات يَوْم أَصَابَنِتي وَعْكُة وَتَحَوَّلَتْ إِلَيَّ بِلِية

إِذَ أَصَابَ جِلْدِي دَاء وَوَجْهِي تَشَوُّهٍ وَحَارَ فِيه الأطباء وَلَمْ يَجْدُوا لَهُ دَوَاءً

وَنَفَرَ مِنِّي النَّاس أمَّا زَوْجَتُي فَقَدْ أَصَابَهَا مِنِّي الوِسْوَاس فَاِعْتَزَلْتَنِي وَإِذْا حَاوَلْتَ لَمْسَهَا نَهَرْتَنِي

وَلَمْ يَكُنْ مَعَي إلا جاريتي السَّمْرَاء سَمْرَاء

وَقَدْ عَابُوا عَلَيْهَا سَمَّارَهَا وَقَالُوا مَاهَمَّهَا إِذْ الدَّاءُ أَصَابَهَا. لَمْ تَسْتَنْكِفْ مِنِّي وَصَاحَبَتْنِي

وَلَمْ تَبْتَعِدْ كَمَا اِبْتَعَدَ الجَمِيعُ عَنِّي

وَذَات يَوْمٍ أَتَانى حَكِيمٌ قَالَ هُنَاكَ فِي عُمْقِ الصَّحْرَاءِ نُبعَ مَاء مَاءهَا دَوَاءٍ لأَيِّ دَاءٍ

وَرَحَلْت إِلَيَّ هُنَاكَ

وَمَرَّ عَلَى ثَلَاثِ شُهُورٍ فِي مُحَاوَلَةٍ لِلاِسْتِشْفَاءِ

فَمَا أَدْرَكَتْ رَاحة وَلَا كَانَ شِفَاءَ

فَعِدَّتِ إِلَى جَزِيرَتِي. وَقَدْ تَسَاقُطَ جِلْدِي وَأَخْفَيْتُ عَنْ النَّاسِ وَجْهِي

وَفِي الطَّرِيق سَمِعْتُ لَغْوَ الحَدِيثِ بَيْنَ النَّاسِ

إِنَّهُ اليَوْمَ سَيَتِمُّ تَتْوِيج اِبْنِي وَلَمْ يَكُنْ مَعَي اِلسَمْرَاءُ وَكُنْتِ بِلَا حُرَّاس

فتسسلت لِلقِصَرِ مِنْ طَرِيقٍ لَا يَعْرِفُهُ إِلَا أَنَا

وَأُنْصِت سَمِعَتْ الخِدَمُ يَتَكَلَّمُونَ

بَعْضُهُمْ يُقَبِّلُ وَبَعْضُهُمْ مِنْ تَصَرُّفِ زَوْجَتُي غَاضِبُونَ

قَالَ إِحْدَاهُمْ الأَمِيرُ رِحَلٌ لَهُ شُهُور

وَتَخْشَى المَلِكَةُ إِنْ تَسُوء الأُمُورُ

سَتُوْلِيه وَتَكُون وَلية عَلَى الأَمِيرِ

فَأَصَابَنِي اِلَهِمْ. أَتَتَخَيَّلُونَ زَوْجَتَي مَاهَمَّهَا غِيَابِي؟

بَلْ طَمِعْت فِي المَلِكِ وَلَمْ تَسْأَلْ مَا بِيَّ

وَاِسْتَدَرْتُ رَاجَعَا وَقَدْ زَادَ هَمِّي وَعَذَابِي

وَسَأَلَتَنِي سَمْرَائِي مَاذَا الآنَ

جَلْسَتُ غاضبا وَقَدْ أَبْغَضَتْ البَشَرَ وَلَعَنَت الزَّمَانَ

فَكَّرْتُ وَقَرَّرْتُ الرَّحِيلَ

بَعْدَ أَنْ أَصْبَحْت بِدَائِيا عَلِيلا

فَمَا أَصَابَنِي لَيْسَ بِالقَلِيلِ

وَاِعْلَمُوا أَنَّ جَزِيرَتَي لَمْ تَكُنْ كُلُّهَا فِي المَاءِ

بَلْ هِيَ ثَلَاثُ جِهَاتٍ الرَّابِعَةُ عَلَى الصَّحْرَاءِ

وَقَدْ كَانَتْ القَوَافِلُ تَأْتِينَا شِتَاء

فَذَهَبْتُ لِمَكَانِهَا

وَطَلَبَتْ صُحْبَتَهَا وَنَشَرَت خَيْمَتَيْ فِي أَحَدِ أرْكَانِهَا

وَقَدْ أَصْبَحَتْ مزعز الأَرْكَانَ وَثَأَرَتْ ثَائِرَتَيْ كَأنِيٌ بُرْكَانٌ

أَلَم بِرَأْسى شَدِيد وَبِدَنِي مُشْتَعِلٌ كَزُبَرِ الحَدِيدِ

فَذَهَبَت سمراء لِلحَادِيِ وَقَدْ كَانَ سَعْدُون

أَتَانى عَلَى عِجْلٍ. وَجَلَسَ بِجَانِبِيَّ وَقَدْ كُنْتُ أُتَمْتِم فِي هذيان وَمَرٌّ يَوْمٌ وَيَوْمَانِ

حَتَّى بَرَّأْتُ فَجَلسَ مَعَي وَقَالَ قَصّ عَلَى فَقَصَصْتُ مَا كَانَ قَالَ عَدٌّ وَاُطْلُبْ مَلِكَكَ وَكُنْ ثَابِت الجَنَانِ

قِلَّتُ مَافِي نَفْسِي حَاجُّهِ لِمَلَكٍ أَوْ سُلْطَانٍ

فَقَدْ تَعَلَّمْتُ أَنَّ الدَّهْرَ لَيْسَ لَهُ أُمَّانِ

وَإِلَيَّ أَيْنَ تَنْوِي الرَّحِيل

لَا أَعْرِفُ فَقَدْ أُصْبِح تَفْكِيرِي مِنْ الِهِمْ بطِّىء ثَقِيل

هَلْ تَنْوِي الإِيَابَ إِذَا بَرَّأْتَ مِنْ الدَّاءِ؟

لَا أَقْسِم قَدْ عَافَتْ نَفْسِي تِلْكَ الحَيَاة وَمَا فِي نَفْسِيَّ لِلحَكَمِ اشتهاء

وَهَلْ اِخْتَرْتُ مَكَانَا ؟ قِلَّتِ مَعَكُمْ إِلي حَيْثُ تَشَاءُ؟

إِذَا سَأَصْحَبُكَ إِلَى مَكَانٍ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا مَنْ كَانَ أَهَّلا لِلإِحْسَانِ
وَقَدْ عَرَضَ عَلَى المَكَانِ وَحَضَرْت وَمِعًى سَمْرَاء

وَلَمْ يَكُنْ إِلَا شَيْخِنَا وَزَوْجَتُهِ وَبنَاتهِ

فَاسَتقَبلُنِي وَلَمْ يَسْأَلْنِى. فَاِسْتَقَرَّ بِي المَقَام

وَعَرَضْتُ عَلَى سمراء الزَّوَاجَ

وَلَمْ تَرْفُضْ بِرَغْمِ الدَّاء

وَرُحْتُ أَتَحَمَّمُ فِي مَاءِ الواحة كُلَّ مَسَاءٍ

وبرأت مِنْ كُلِّ دَاءٍ. وَلَمْ يَحْدُثْ فِيهَا مَا يُعَكِّرُ صَفْوهَا

وَلَمْ أَرَ شِيئا بَيْنَ جنباتها

فَشَيَاطِين الإنس أَقْسَى مِنْ شَيَاطِينَ اِلْجَنَ.

اِلْتَفَتَ لِهُمْ، الشَّيْخُ سَعْدُونُ. قَالَ أَسْمَعْتُمْ هُنَا وَاحَةً الأُمَّانِ وَسَيَطْرُدُ مِنْـهَا مَنْ كَانَ للصحبة خَوَّان

وَاِعْلَمُوا أَنَّ الطَّرِيقَ لَا يعَلِّمُهُ إِلَّا اِثْنَانِ

أَنَا وَإبْنِي وَهُوَ الحَادِي بُرْهَان

وَسَأَخْتَارُ مِنْ الوَاحَةِ مِنْ يَكُونُ ذَا عِلْمٍ

قَالَ أَمِيرُ أَنَا لَهَا كَمْ اِعْشَقْ العِلْمَ وَسَحِّرْ البَيَانَ

وَمُنْذُ أَتَيْت هنَا أَصْبِحْ اللَّيْلَ لِي خَلِيلا

لَقَدَّدَ حَدَّدْتُ بِالنُّجُومِ الطَّرِيقَ

وَمَتَى الطَّرِيقُ يَتَّسِعُ مَتَى بِضِيقٍ

فَاتَخِذَنِي لَكَ تِلْمِيذُا وَرَفِيقا

وَمِنْ عِلْمِكَ أَنْـهَلُ وَلَنْ أَمِلْ أَوْ أَضْيَقُ

قَالَ لَكَ هَذَا واعلم أنك أنت الصبى المختار
فذات رحلة كان والدك معى وقد إلتقينا عرافة وقالت لنا بعض من الأخبار
منها إنِ حاتم مقدر له العذاب

وسيكون من أهله وخلان ضنهم أحباب
واهدته خاتما وقالت هذا بنك وسكون له دليل
ومقدر لهذا الإبن أن يخوض غمار الحياه نهارا وليلا
وَلِنَّا حَدِيثٌ يُطَوِّلُ وَكُلٌّ شِئ بِأَوَانٍ

قَالَ سَمِيرُ يَا شَيْخِنَا لَمْ تُخْبِرْنَا

مَا كَانَ مِنْ أَمَرِّ الوَاحَةِ وَمَاذَا كَانَ فِيهَا مَاذَا اِلْتَقَيْتَ مَا قَصَّتْكِ مَعَ اِلْجَأْنَ؟!

أَتَسْأَلُ عَنْ مَا كَانَ مِنْ حِكَايَتِي؟

سَأَقُصُّ عَلَيْكُمْ غَدًا تَكْمِلَةَ قِصَّتِي

وَذَهَبَ كُل إِلَى مَهْجَعه لِيَنَامَ

وَلَكِنَّ قُلُوب سَاكِنِهَا فَقَدَتْ بَعْضَ الإِحْسَاسِ بِالأَمَانِ

إِذَ أَنَّ القِصَّةَ بِرَغْمِ غَرَابَتِهَا أَرْبَكَتْهُمْ

وَفِكْرَة إِنْ هُنَاكَ مَخْلُوقَات فِي أَلْوَاحِة شَغْلَتِهِمْ

هُنَاكَ مِنْ فَزَع وَهُنَاكَ مِنْ تَشَوُّق

وَأُقَبِّلُ الصُّبْح وَقَدْ كَانَ لَهُ مَذَاق غَرِيبٌ

كُلّ فِي عَمَلِهِ وَلَكِنَّهُ سَاهَمَ

يَتَلَفَّتُ وَيَبْحَث عَنْ صَوْتٍ أَوْ أَحَد العَلَائِمِ

وَتَسَارَعَتْ السَّاعَاتُ وَأَتَى ميعَادِ الطَّعَامَ وَالسُّمْر وَالكَلَام
وَجَلَسَ النَّاسُ فِي وُجُوم

وَلَا حَدِيثٌ بَيْنَهِمْ كأنمَا حطّ عَلَيْهُمْ الطَّيْر أَوْ ضَاعَ الوِئَام

تَلَفَّتَ حَاتِمِ وَقَدْ أَهَمَّهُ هَذَا القَلَقُ المَرْسُومُ

وَعَلَى وُجُوهِهِمْ الشَّكّ يَحُوم فَأَنْتَظِر حَتَّى اِنْتَهَى الطَّعَام
وَاِلْتَفُّوا دَوَائِرا للسمر أَوْ عَزْف الأَنْغَامِ

أَتَّجِه إِلَى وَسَطِ الدَّائِرَةَ عِنْدَ النَّارِ

وَصفُق بِيَدِهِ نَادِي اِنْصِتُوا يَا أَهْل الدِّيَارِ

فَتَوَقَّفَ كُل مِنْهُمْ عَنْ عَمَلِهِ وَالمُتَحَدِّثِ صَمْت وَاِسْتَدَارَ

مَا بِا لَكُمْ يَاأَهُلُ الوَاحَةُ لم طِير الخَوْف عَلَى رؤسكم حَامٍ وَأَي
شِي عَكَّرَ صَفْو حَيَاتِكمْ وَأَقْلَقَ مِنْكُمْ المَنَام

وَقَدْ عِشْتُمْ هُنَا سَنَوَاتٍ فِي أُمَّان

لَمْ يَمَسسّكُمْ ضُرٌّ وَقَدْ تَخَلَّصْت مِنْ الأَحْزَانِ

وَبِضْع كَلِمَاتٍ أَرْعَبَتْكُمْ وَحِكَايَةً وَلِآتِ أَرْبَكْتكُمْ

لَمَا هَلْ يَوْمًا أَصَابَ أَحَدُكُمْ سوء

فَلِي بَيْنَكُمْ أَكْثَر مِنْ شَهْرٍ وَكَأَنِّي خَرَجَتْ مِنْ أَرْضِ الشَّيْطَانِ وَأَسْكَنَنِي اللهُ أَرْض الجِنَّانِ

فِيهَا النَّعِيم وَيَحُدُّهَا نَسِيم عَلِيلٌ وَبُسْتَان

فَتِلْكَ أَلْوَاحُة هِيَ مَكَانُ فَرٍّ مِنْ صروف البَشَر وَتَحَدِّي طَبِيعَةُ الإِنْسَانِ

وَلَمْ أَجِدْ دِفئا إِلَّا بِيَنِ أَحْضَانِهَا فَلِنَشْكُرْ الوَاحِدَ الديان

لَا تَنَغَّصُوا عَلَيْكُمْ حَيَاتكُمْ وَلَا تُفْسِدُوا بَهَجَة لَيْلَيْكُمْ وَأَيَّامَكُمْ وَأَنْتم يَا أَوْلَاد عِيشُوا فَمَا تَجِدُوهُ هُنَا شَيْءٌ مِنْ الخَيَالِ يُبْهِجُ قُلُوبَكُمْ

اِنْتَفَضْت أَمْ الغِلْمَان اِتَّجَهَتْ إِلَى حَاتِمَ وَأَمْسَكَتْ يَدَهُ وَقَالَتْ زَوْجَي قَدْ عَادَ لِنَّا الآنَ

هَذَا هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي عِشْتُ مَعَهُ ردْحٍ مِنْ الزَّمَانِ

أَيْنَ كُنْت يانْصَفِي المَفْقُود

أَسْعِدْنِي أَنَّ إِلَيَّ بِكَامِلٍ حُضُورُكِ تَعَوَّدَ

وَتَضْاحَكُوا وَتكَلِّمُوا

وَجَلَسَا سَوِيًّا يَتَنَاجَيَانِ وَيَتَهَامَسَانِ

وَكُلا مِنْهُما بِحُضُورِ الآخَرِ نشوان

وَصَمْت بَعْدَ الوَقْتِ ثُمَّ قَالَ

بِرَغْمٍ مَا كَانَ تَهْفُوَا نَفْسِي لِلأَوْطَانِ

وَ أَتَمَنَّى أَنْ أَعُودَ وَأَنْتَقِمُ مِنْ كُلٍّ مَنْ خَانَ

يَا زَوْجِي أَنَا طَوَّعَ البَنَان

وَلَكِنَّ كَمَا تَرَى هُنَا بِأَلْوَاحِة الكُلِّ لِلكُلِّ عضد.

وَوَقَّت الحَاجَه لَهُ سَنَد

فَلِنَجْلِسْ مَعَ الجَمِيعِ وَنَتَّفِقُ عَلَى مَا يُفِيد

قَالَ لَكَ مَا تُرِيدِينَ

فَالْتَفَتَ وَقَالَ يَا أَهْلَ أَلْوَاحَة لِي عِنْدَكُمْ مَشْوَرَة

وَكَمَا تعْلَمُونَ الأَمَرُّ بِالعَقْلِ مَا شورَة

قَالَ الشَّيْخُ سَعْدُونَ مَاذَا يَا أَبَا الغِلْمَانُ

أَتَمَنَّى أَنْ أَعُودَ إِلَى الدِّيَارِ

اِنْتَفَضَ يَابَنِي مَاذَا تَقُول

أَلَمْ تَعْرِفْ مَا بِيَنِنَا مِنْ اِتِّفَاقٍ وَكُل عَنْ كَلِمَتِهِ مَسْئُول؟

قَالَ أَبَا الغِلْمَانِ اِعْلَمْ أَنَّ السِّرَّ عِنْدَي فِي أُمَّانِ

اِسْتَفْهَمَ الشَّيْخ وَقَالَ خَبَّرَنِي مَا عِيب وَاحَتُنَا

سَارَعَ أَمِيرُ بِالقَوْلِ أَبِي الحَيَاة هُنَا أُمَّانِ

وَمَا أَرْوَع الصُّحْبَةِ والخلان

وَتَبْسِم عَلَى اِسْتِحْيَاءٍ

نَظَر وَالِدِهِ وَعَرَفَ مَافِي نَفْسهُ كَانَ يَنْظُرُ لِصَبِيَّة فِي الخَفَاءِ
قَالَ أتفهمون لَنْ أَشْعَرَ بالسعادة أَوْ الهَنَاء

إِلا إِذَا اِسْتَرْدَدْتِ حَقِّي مِنْ هَؤُلَاءِ

تَنَهَّدَ الشَّيْخُ بِنِّي أَنَّ شَهْوَةَ الاِنْتِقَامِ نَارٌ تُدَمِّرُ الأَرْوَاح

فَتَخَلَّصْ مِنْهَا وَأُتْرُكْ الأَتْرَاحَ وَعِشْ الأَفْرَاحَ

يَا شَيْخِنَا إنَّ اللهَ يُسَبِّبُ الأَسْبَابَ

لِذَلِكَ أُرِيدُ الإِيَابَ

حَتَّى اِسْتَرَدَّ حَقِّي وَيَكُونُ بَيْنَي وَبَيْنَهِمْ حِسَاب

بنِّي إِذَا تَشَوَّهَتْ نَفْسكَ فَلَا مَكَانَ لَكَ بَيْنَنَّا

فَهُنَا لَأَتَعَيَّش إِلَا القُلُوب الآمنة

وَاللهِ مَا غَرَضِي الإنتِقَامِ وَلَكِنَّ أُرِيد أَنْ أُنْقِذَ مِنْهُمْ الأنام
صَمَتَ الشَّيْخُ ثُمَّ قَالَ

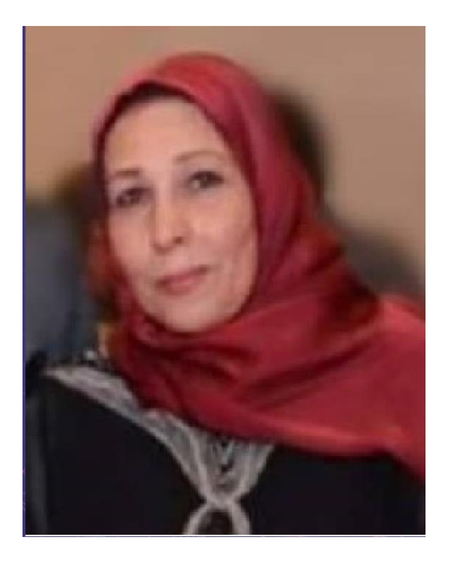
قَبْلَ أَنْ تَقَرَّرَ يَأْبَنِي إسْمَعُ قِصَّةَ أَلْوَاحِة وَكَيْفَ أَصْبَحَتْ مَلَاذُا مِنْ الآَلَامِ. وَأَعْلَمُ أَنَّهَا قِصَّةٌ لَهَا العَجَب
وهل هى أغرب مما كان
نعم ففى الأوله نغوص فى نفوس البشر
وفى الثانية نغوص إلى عالم الأرض وسكانه
ولكن إياكم أن تظنوا إنهم الجان
بل هم أنواع وأشكال كأنهم بشر وفى أرض أخرى حيوان فى صورة إنسان وخلائق تعجب من طولها وآخره أقصر من الأقزام

صَمْت الجَمِيعُ فِي الإنْتِظَارِ
فقال لهم لقد أرهقتنى الكلام وداعبت عينى المنام
فإلى الغد نكمل حديث عالم أغرب من الخيال وأعجب من الأحلام

إلى اللقاء فى عالم الأرضين السبع

ماجى صلاح

الكاتبة في سطور



- ماجي صلاح
- أديبة من مصر العروبة، شاعرة وكاتبة
- تخرجت في كلية البنات لإدارة الاعمال عام 1984
- أصدرت ديوانها الأول – معزوفة ألم – عام 2016
- تهوى القراءة والكتابة وعاشقة للشعر والادب والفن والتاريخ

- **<u>صدر لها</u>**

- الدائرة المفتوحة (مجموعة قصصية) عن دار النيل والفرات للنشر والتوزيع (طبعة أولى سبتمبر 2018)
- ألف مظلمة ومظلمة عن مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع (طبعة أولى مارس 2019)

محتوى الكتاب

الجزء الأول

الجزء الثانى